

أسس الأب لويس خليفة (†)
جريدة بيبليا سنة ١٩٩٠
وحولت إلى مجلة بيبليا
سنة ١٩٩٨.

رئيس التحرير:

الأب أيوب شهوان

هيئة التحرير:

الأب أيوب شهوان

الخوري بولس الفغالي

الأخت باسمه الخوري

د. دانيال عيوش

أسرة التحرير:

الأخت روز أبي عاد

د. نقولا أبو مراد

الأب جوزف بورعد

الأم كليمانس حلو

الأب ميلاد الجاويش

الأب أسعد جوهر

الإرشمندريت جاك خليل

الأب جورج خوام

الخوري نعمة الله الخوري

الأب لويس الخوند

القس عيسى دياب

الأب نجم شهوان

الخوري جان عزام

د. جوني عواد

الأب أنطوان عوكر

القس هادي غنطوس

الأب هادي محفوظ

الخوري أنطوان مخايل

المطران بطرس مراياتي

الخوري جوزف نقّاع

الأب ريمون الهاشم

■ ■ ■

ISSN 1992-2094

جميع الحقوق محفوظة

مركز النشر والتوزيع

جامعة الروح القدس - الكسليك

ص.ب. : ٤٤٦ - جونيه - لبنان

هاتف : ٠٩/٦٠٠٠٠٠

فاكس : ٠٩/٦٠٠١٠٠

في هذا العدد

الافتتاحية

الرسائل الرعوية: رسول الرب تلميذ أمين وراع صالح — رئيس التحرير ٢

أ) موضوعات عامة

مدخل إلى الرسائل الرعوية — الخوري نعمة الله الخوري ٧

تيطس وواجب التعليم في الكنيسة — الأب لويس الخوند ١٥

ب) موضوعات عامة

١ تم ١: ٣-٧: مهمة تيموتاوس: — الأب أيوب شهوان ١٩
مواجهة التضليل ونقل البشارة بأمانة

١ تم ١: ١٧؛ ٦: ١٥-١٦: لملك الدهور كل إكرام ومجد — الخوري بولس الفغالي ٣١

١ تم ٣: ١-٧؛ ٨-١٦: الخدم في الكنيسة — الأب نجم شهوان ٤٣

١ تم ٤: ١-٧: تجنب الخرافات الباطلة — الخوري أنطوان مخايل ٥٥

١ تم ٤: ٨-١٦: كل رسول هو خادم المؤمنين ومثالهم — الخوري شوقي كرم ٦١

الاشتراك السنوي (٤ أعداد)

ثمن العدد

في لبنان : ٣٠٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

في الخارج : ٤٢٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

في لبنان : ٧٥٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

في الخارج : ١٠٥٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

العنوان

كلية اللاهوت الحبرية

جامعة الروح القدس - الكسليك

ص.ب. : ٤٤٦ - جونيه - لبنان

هاتف : ٠٩/٦٠٠٠٠٠

فاكس : ٠٩/٦٠٠١٠٠

الصف الإلكتروني، الإخراج.

فرز الألوان والطباعة:

Daccache Printing House

عمشيت (لبنان)

E-mail: olmpac@hotmail.com

الرسائل الرعوية: رسول الرب تلميذ أمين وراع صالح

رئيس التحرير

١ - أصالة الرسائل الرعوية

أمرًا محدّدًا، هو العفو عن أونسيوس، العبد الذي فرّ من سيّده، مع فارق أساسيّ هو أن ١ و ٢ تمّ وتبطّ تُعنى بتنظيم الجماعات المسيحية، وتتضمن لهذه الغاية توصيات عدّة للقيّمين على شؤون هذه الجماعات، وتحذيرات حازمة، وحنًا قويًا على البرّ والتقوى.

بالرغم من أن الرسائل الرعوية هي موجهة إلى تيموتاوس وتيطس شخصيًا، فإنّه بالإمكان الاعتقاد أنّ بولس كان يقصد في الوقت عينه كلّ أعضاء الجماعة المسيحية، وهذا ما نتبيّه من مضمون الرسائل عينها، كما أيضًا من السلام المُدرج في ختام كلّ منها بصيغة الجمع: "النعمة معكم" (١ تمّ ٦: ٢١؛ ٢ تمّ ٤: ٢٢؛ تيط ٣: ١٥ حيث يضيف كلمة "كل").

إنّ الكنيسة هي إذاً في قلب الرسائل الرعوية، إنّ في الناحية الأكثر إيلاّمًا، والمتعلّقة بأزمة إيمان ناتجة عن ظهور "الهرطقات" الأولى، وإنّ في الصيغة المضاعفة والغنيّة للمواهب وللخدم المتنوعة التي ينبغي القيام بها بأمانة وكرامة. في جملة هذه الواجبات في الكنيسة، هناك مدى هامّ محفوظ للفضائل البشريّة، والنضج، والاتزان. إنّ الحقائق الإيمانيّة التي يتوجّب الدفاع عنها هي مذكورة في سلسلة الاستشهادات من التأكيدات اللاهوتيّة التي تُبرز وكأنّها معروفة ومقبولة؛ هذه هي علامة حضور تقليد حقيقيّ وخاصّ للإيمان المتجدّر في الجماعة المسيحية.

٣ - خصوصية الرسائل الرعوية وارتباطها بالتقليد

مما لا شكّ فيه أنّ للرسائل الثلاث مكانها بين الرسائل

يطرح علماء الكتاب المقدّس، الباحثون في الرسائل الرعوية الثلاث، ١ و ٢ تيموتاوس وتيطس، السؤال حول أصالة هذه الرسائل، أي إذا كانت من إنتاج بولس شخصيًا أم من وضع هذا أو ذاك من تلاميذه. ولا يتردّد البعض في نفي نسبتيها إلى بولس لهذا أو ذاك من الأسباب. بالرغم من ذلك، وإلى أن تقول الكنيسة كلمة الفصل في هذا المجال، بالاستناد إلى ما يتوصّل إليه علماءها الساعون إلى الحقيقة ليس إلّا، ستبقى هذه الرسائل إرثًا بولسيًا ثمينًا يواصل إغناء قارئيه والمتبحرين فيه بخيرات روحية لا عدّها.

٢ - الهم الكنسي

تشهد ١ و ٢ تيموتاوس وتيطس على ما كانت تعيشه الجماعات التي كان بولس قد أسّسها؛ فالمشاكل لم تكن فيها قليلة ولا سهلة، إنّ من حيث الأمانة لتعاليم الرسول المؤسس، وبالتالي للربّ بالذات، وإنّ من حيث تسلّل المعلّمين الكذبّة وسوسّتهم للمؤمنين ليضلّوهم، أو أيضًا من حيث تنظيم الخدم في الكنيسة، الرجالية منها أو النسائية، وأخيرًا لا آخرًا كيفية التعاطي مع المجتمعات غير المسيحية ثقافةً وحياة اجتماعيةً وغير ذلك.

وعلى خلاف رسائل بولس الأخرى التي وجهها إلى جماعات كنسية سبق أن أسّسها، تبدو ١ و ٢ تمّ وتيطس وكأنّها رسائل شخصية، كما الرسالة إلى فيلمون التي تعالج

حيث المضمون والشكل؛ فهي وحدها من بين الرسائل البولسية موجهة إلى أفراد يتولون مسؤولية كنسية محلية؛ فتيموتاوس كان مبعوث بولس في منطقة أفسس، وتيطس كان مبعوثه إلى جزيرة كريت.

إن هدف الرسائل الثلاث هو تعليم تيموتاوس وتيطس كيفية إدارة الجماعات المسيحية المحلية، لذلك يشدد بولس على التعليمات التالية:

- الانتساب بأمانة إلى وديعة الإيمان التقليديّة؛
- مواجهة التعاليم التي تحيد عن الإيمان؛
- تعيين خدام مؤهلين لأن يدبروا الجماعات المحلية؛
- تنظيم العبادة في الجماعات؛
- حث المؤمنين على أن تكون سيرتهم حسنة وبانسجام مع متطلبات حالتهم.

لهذه الرسائل أيضاً أسلوب خاص ومصطلحات مشتركة في ما بينها، وعلى ما يبدو حرّرت في المرحلة الزمنية ذاتها. كذلك التعاليم الزائغة عن الإيمان هي ذاتها في العمق في الرسائل الثلاث. إنها تمثل شكلاً من الغنوصية اليهودية. هناك سبب وجيه إذا لتسميتها "الرسائل الرعوية"؛ فهي موجهة إلى تيموتاوس وتيطس، المبعوثين إلى كنيسة أفسس وكريت ليكونا راعيها، وتعطي تعليمات حول الإدارة الرعوية لهذه الجماعات، التي ينبغي أن تتم وفق الأصول الرسولية.

٥ - من هو تيموتاوس؟

تيموتاوس معروف جيداً من خلال كتاب أعمال الرسل ورسائل بولس. أول ظهور له هو في أع ١٦: ١ حيث يفيدنا النص أنه "تلميذ من لسترة". في جولته الرسولية

البولسية، خاصة لأن لها أسلوبها ومصطلحاتها، التي تختلف عن أسلوب ومصطلحات بولس في الرسائل الأخرى. ومن ناحية المضمون، يُطرح السؤال حول هوية الهرطقات التي تندّد بها هذه الرسائل؛ هل هي الغنوصية التي حاربها آباء الكنيسة في القرن الثاني، أم غيرها؟ كذلك يعني الكلام في الرسائل التي نحن بصددّها على تنظيم الكنيسة أننا قد صرنا في مرحلة متقدمة تاريخياً، خاصة عندما يكون موضوع الخدم في الكنيسة مطروحاً بهذا التمييز بين المسؤوليات (أساقفة، وشيوخ، وشمامسة، وأرامل...)، الأمر الذي يسمح بالاستنتاج بأن مرحلة زمنية هامة كانت الكنيسة قد قطعتها عند تحرير هذه الرسائل. حالياً يميل العديد من الباحثين إلى اعتبار الرسائل الثلاث أنها ليست من وضع بولس شخصياً بل من أحد تلاميذه، لكن هناك بالمقابل من يدافع عن أصالتها وبإصرار، كالباحث SPICQ^(١) الذي يعتبرها بولسية أصيلة.

ولا بدّ هنا من الإشارة إلى أنّ ارتباط الرسائل الرعوية بالتقليد السابق لها أمر مفروغ منه ومؤكّد، حتى ولو كان هناك عدم يقين حول أصل مادة هذا التقليد^(٢). كذلك هو مؤكّد بدقّة ارتباطها بالتقليد البولسي الذي ينسب كاتب الرسائل المذكورة ذاته إليه، مقدّماً ذاته، في عنوان كلّ من هذه الأخيرة، على أنه "بولس الرسول"^(٣).

٤ - الرسائل الرعوية مجموعة واحدة ذات هدف مشترك

تُعتبر الرسائل الرعوية الثلاث، ١ و ٢ تيموتاوس وتيطس، كمجموعة واحدة، بسبب التشابه في ما بينها من

(١) C. SPICQ, *Les épîtres pastorales*, Études bibliques 2 tomes, Gabalda 1969.

(٢) E.E. ELLIS, « Traditions in the Pastoral Epistles », in C. A. Evans, W.F. Stinespring (ed.), *Early Jewish and Christian Exegesis. Studies in Memory of W. H. Brownlee*, Atlanta 1987, 237-253.

(٣) M. WOLTER, *Die Pastoralbriefe als Paulustradition* (FRLANT 146), Göttingen 1988.

إليه تفيدنا بأنه آمن بالمسيح على يد بولس: "إلى تيطس ولدي الصادق بحسب الإيمان المشترك" (تيط ١: ٤؛ رج ٢ كو ٢: ١٣؛ ٨: ٢٣؛ غل ٢: ١٣؛ ١ تم ١: ٢؛ ١١ تم ٢: ٤؛ ١٠). استناداً إلى غل ٢: ١ يبدو أن تيطس كان رفيق بولس وبرنابا في مجمع أورشليم سنة ٤٩: "صعدت وبرنابا إلى أورشليم، مصطحباً تيطس" (رج أع ١٥).

خلال جولته الرسولية الثالثة، أوفد بولس تيطس إلى كورنتوس في مهمة صعبة. لاحقاً انضم تيطس إلى بولس من جديد في مكثونية من حيث أرسله من جديد إلى كورنتوس ليكمل جمع التبرعات للمسيحيين في أورشليم: "فلما قدمنا إلى مكثونية، لم يكن لجسدنا من راحة...، لكن الله... عزّانا بمجيء تيطس (٢ كو ٧: ٥)؛ تيطس هو شريكي ومعاوني من أجلكم" (٢ كو ٨: ٢٣)، لذلك يقول بولس في ٢ كو ١٢-١٣: "ولما قدمت إلى ترواس... لم يكن لروحي من راحة لأنني لم أجد تيطس أخي". بعد ذلك، يرد ذكر تيطس في الرسائل الرعوية؛ فهو اهتدى إلى الإيمان على يد بولس، كما أوردنا أعلاه (تيط ١: ٤)، وكان في دلماتيه عندما سُجن بولس ثانية في روما (٢ تم ٤: ١٠). أثناء جولة بولس الرسولية التي قام بها بعد أن كان موقوفاً في روما، ترك تيطس في جزيرة كريت ليدبر شؤون الكنيسة هناك.

على أثر ذلك حرّر بولس إليه رسالته التي فيها يخبره أن أرمثاس وتيخيكس سياخذان مكانه في كريت، ويطلب إليه أن يوافيه إلى نيكوبوليس: "متى بعث إليك أرمثاس أو تيخيكس، فاجتهد أن تقدّم إليّ إلى نيكوبوليس" (تيط ٣: ١٢) التي وصل إليها بولس في تبشيريه. آخر المعلومات المتوفرة تفيد أن تيطس وافى إلى دلماتية (٢ تم ٤: ١٠).

٧- الله "الآب" و"المخلص" في الرسائل الرعوية

في عناوين الرسائل الثلاث، يوصف الله بأنه "الآب"، كما يفعل بولس في رسائله الأخرى. لكن العديد من التماجد تبرز صورة إله بعيد المنال في عظمته، وبالتالي تبدو أبوة الله في ذات الوضع؛ مع هذا يتجلى الله بنعمته، هو غير المنظور، على أنه "المخلص"، وهذا اللقب المتجذّر في العهد

الأولى، حوالي سنة ٤٧، قبل تيموتاوس الإيمان إلى جانب آخرين (١ تم ٢: ٤٩). عندما مرّ بولس في لستره في جولته الرسولية الثانية، التحق تيموتاوس به؛ ومنذ ذلك الحين، واستناداً إلى مراجع عدة في أع وفي الرسائل، بقي واحداً من رفقاء بولس الأكثر أمانة له، وبالتالي موضوع ثقته بامتياز، وموفده في المهمات الصعبة.

كان تيموتاوس في روما عندما كان بولس موقوفاً فيها، كما نتبين من عنوان الرسالة إلى أهل كولوسي: "من بولس... وتيموتاوس" (١: ١)، ومن عنوان الرسالة إلى فيلمون: "من بولس، أسير المسيح يسوع، ومن تيموتاوس الأخ...". (١: ١). وعندما أُخلي سبيل بولس، قام بجولة رسولية في المناطق الشرقية من البحر المتوسط، فزار أفسس، وترك تيموتاوس هناك كممثل له فيها. على أثر ذلك كتب بولس إلى تيموتاوس الرسالتين المعروفتين باسمه.

كان تيموتاوس على الأرجح شاباً عندما أوكل إليه بولس تدبير كنيسة أفسس، كما نتبين من ١ تم ٤: ١٢: "فتوتك لا يحتقرها أحد". ومن خلال بعض مقاطع في الرسالتين ١ و ٢ تم نعلم أيضاً أنه كان خجولاً، وأنه كان يتألم من أكثر من علة في جسده، كما تفيدنا ١ تم ٥: ٢٣: "لا تشرب ماء صرفاً بعد، بل امزجه بقليل من خمر من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة".

لقد شرف "تيموتاوس" (ويعني اسمه اليوناني "من يُكرم الله") عمله الرسولي بغيرته وإخلاصه، ولا عجب فهو ابن أم مسيحية من أصل يهودي، واسمها أونيكّا، وأب يوناني. من بين الأسماء التي ترد في ٢ تم، بالإضافة إلى اسم أمه، هناك أيضاً اسم جدته لويده (٢ تم ١: ٥). وعندما أصبح معاون بولس، ختنه هذا الأخير "مراعاة ليهود كانوا في تلك الديار؛ في الواقع كانوا كلهم يعلمون أن أباه يوناني" (١٦ أع: ٣). سيقى تيموتاوس الرفيق الحميم والأكيد للرسول إلى حد أنه أصبح مثال من يؤكّي رئاسة الجماعة.

٦- من هو تيطس؟

في حين أن كتاب أعمال الرسل لا يذكر تيطس، تمدنا رسائل القديس بولس بعدة معلومات عنه؛ فالرسالة الموجهة

٨ - "الراعي الصالح" مقاوم "المعلمين الكذبة"

ويدخل على المسرح وجه "الراعي" الذي عليه أن يعارض عمل "المعلمين الكذبة"، خاصة أولئك الذين يعودون إلى الوراثة، إلى تقاليد يهودية معينة تصفها ١ تم ١: ٤ بأنها "خرافات وأنساب لا آخر لها"، أو أيضاً إلى الشريعة الموسوية. في ما يتعلق بهذه الأخيرة، يتأكد تعليم بولس النموذجي (روم ٧: ١٤-١٥)، وهو التالي: للشريعة هدف، وهو كشف الخطايا؛ وفي ١ تم تردُّ لائحة طويلة منها، استناداً إلى رسم تخطيطي دارج في التقليد الخلقى اليوناني واليهودي (رج روم ١: ٢٩-٣١).

وعلى تعارض مع "الرعاة الكذبة" يطل وجه بولس الذي تُروى عنه قصة مُرتدٌ بهدف تعظيم نعمة الله، التي يعلن عملها الخلاصي في نوع من إعلان إيمان يُقدّم له بصيغة تميز هذه الرسالة: "صادقة هي الكلمة وجديرة بكل قبول" (١: ١٥ رج ٣: ٢١؛ ٢ تيم ٢: ١١). يتأكد هكذا أن التعليم المذكور هو صالح: "جاء المسيح يسوع إلى العالم ليخلص الخطاة" (١: ١٥). على خلاف المعلمين الكاذبين، هومنايوس وإسكندر، اللذين خاناً رسالتهم، ولأجل ذلك أنزل بهما "الحرم"، ينبغي أن يكون تيموتاوس وريث الرسول في حفظ الإيمان بحزم وأمانة وثبات.

القديم، يستعمل ٦ مرات لله، و ٤ مرّات للمسيح. في الواقع، يلفت انتباه قارئ ١ و ٢ تم تركيز الكاتب فيهما على "المخلص" و"الخلاص"، كما يظهره لنا استعراض المعطيات المنتشرة في الرسالتين المذكورتين.

يستهل بولس رسالته الأولى إلى تلميذه تيموتاوس، التي يمكن اعتبارها كتاب الراعي في الكنيسة، بالعنوان والتحية المعتادين (آ ١-٢)، حيث يدعو الله "مخلصاً": "من بولس رسول يسوع المسيح يسوع، وفق أمر الله مخلصنا..." (آ ١)؛ وبالرغم من كونه لقباً نادراً في رسائل بولس، فهو يميز الرسائل الرعوية، كما تتبين من النصوص التالية:

١ تيم ٢: ٣: "إن ذلك لحسن ومقبول أمام الله مخلصنا".

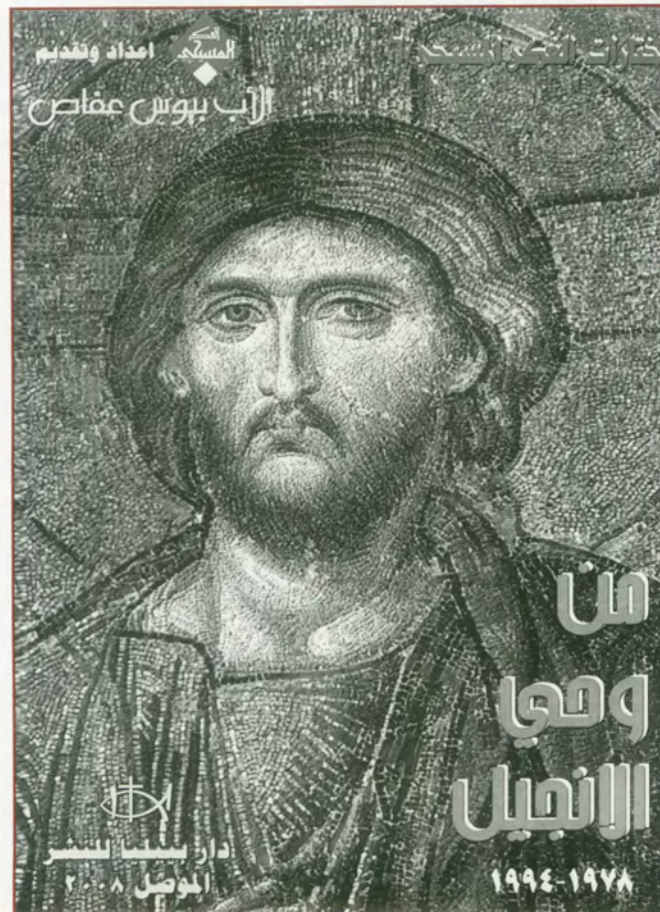
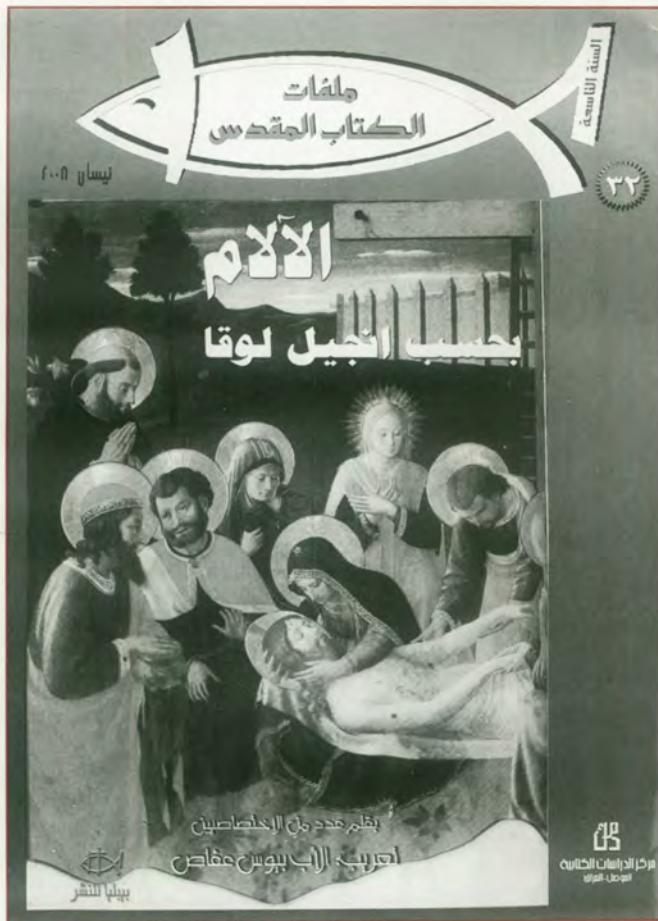
٤: ١٠: "فإننا لهذا نتعب ونجاهد، لأننا نرجو الله الحي الذي هو مخلص الناس أجمعين..."

١ تيم ٣: ١: "فأظهر كلمته في مواقبتها بتبشير ائتمنت أنا عليه، وفق أمر الله مخلصنا..."

٢: ١٠: "... حتى يزينوا في كل شيء تعليم الله مخلصنا".

٣: ٤: "لكن الله مخلصنا..."

ونشير إلى أن بولس يطبق اللقب "مخلص" على المسيح أيضاً في ٢ تيم ١: ١٠؛ ١ تيم ٢: ٤؛ ١٣: ٣؛ ٦: ١٦ وقد يكون ذلك بسبب التأثير الهليني حيث كانت الصفة "مخلص" اللقب الذي كان يُطلق على الآلهة وعلى الأباطور.



مدخل إلى الرسائل الرعائية



الخوري نعمة الله الخوري

باحث في الكتاب المقدس

مرقس. كان أهل فريجية متشددين بتطبيق الشريعة اليهودية، لذلك أرسله بولس إليهم بعد أن ختنه (ع ١٦: ٣) رغبة منه في أن يكون يهودياً مع اليهود (١ كور ٩: ٢٠). سنجد تيموتاوس في مكدوننية ثم في أثينا (ع ١٧: ١٤-١٥) وفي كورنتوس (ع ١٨: ٥)، وقد ساهم في جمع التبرعات لكنيسة أورشليم (ع ٢٠: ٤).

هذا التلميذ هو الأكثر شهرة بين كل معاوني بولس؛ يذكر اسمه في بداية ست رسائل (٢ كور، فل، كول، ١-٢ تس، فلم)، وقد وضع عليه بولس اليدين بالرغم من صغر سنه (١ تم ٤: ١٢ و ٢: ١٤). كان مسؤولاً عن كنيسة أفسس حيث طلب منه الرسول أن يثبت الناس هناك في التعاليم الصحيحة (١ تم ٣: ١؛ رج ع ١٩: ٢٢)؛ قام بمهام

تيموتاوس وتيطس، لأنها تعرض كيفية اختيار الخدام في الكنائس، وتشير إلى طبيعة وظيفتهم، وتحدد الفضائل التي يجب أن يتحلوا بها.

سنعرض في هذا "المدخل إلى الرسائل الرعائية" مسائل تاريخية ونقدية ولاهوتية تساعدنا على التعرف عن كثب على الرسائل الموجهة إلى تيموتاوس وتيطس، حيث أنها تتميز عن سائر الرسائل البولسية.

أولاً: تيموتاوس وكنيسة أفسس

وُلد تيموتاوس (يعني اسمه: "مَنْ يخاف الله") في لسترة من أب وثني وأم يهودية (٢ تم ١، ٥). في الرحلة الرسولية الثانية، أثناء مرور بولس في لسترة عام ٥٠، رافقه تيموتاوس بعد أن انفصل عنه

تدل التسمية "الرسائل الرعائية"^(١) على تلك التي وجهها بولس إلى تلميذه تيموتاوس وتيطس، طالباً منهما الاهتمام بالرعية، ومزوداً إياهما بالتعليمات الضرورية لتنظيم الكنائس؛ إنها رسائل لأنها شبيهة بهيكلية الرسائل الأخرى، فتبدأ باسم المرسل والمرسل إليهم، وتنتهي بالسلامات والتحيات الأخيرة. في بداية القرن السابع عشر (١٦٠٩)، سماها اليسوعي كوسماس ماغاليانوس (Cosmas Magalianus) "رسائل حبرية"، ولكن التسمية "رعائية" هي التي سيطرت في ما بعد، حين أطلق باردو (D. N. Bardot) عام ١٧٠٣، لأول مرة، تسمية "رعائية" على الرسالة إلى تيطس، ثم تبعه أنطون (P. Anton)، فأسند هذه التسمية، عام ١٧٢٧، إلى الرسائل إلى

(١) حول الرسائل الرعائية بشكل عام راجع:

بولس الفغالي، "الرسائل الرعائية الثلاث"، في: المدخل إلى الكتاب المقدس، الجزء الخامس، المكتبة البولسية، ١٩٩٥، ص ٣٢٥-٣٤٠.

P. Dornier, *Les épîtres pastorales*, Sources Bibliques, Gabalda, Paris, 1969.
C. Spicq, *Les épîtres pastorales*, 2 tomes, Études Bibliques, Gabalda, Paris, 1969.
Idem, "Pastorales (Épîtres)", *DBS*, Fasc. 36, col. 1-73, Paris, 1961.
E. Cothenet, *Les épîtres pastorales*, Cahiers Évangile 72, Cerf, Paris, 1990.

موراتوري، حوالى ١٨٠) الرسائل البولسية الموجهة إلى الكنائس السبع، وبعد ذلك تُضيف فتقول إن الرسالة إلى تيطس والرسالتين إلى تيموتاوس لها طابع مقدس لأنها كُتبت لتعظيم الكنيسة الكاثوليكية ولتنظيم الكنائس فيها، وهذا دليل على أن كنيسة روما عرفت هذه الرسائل باكرًا. تظهر الرسائل الرعائية كاملة في المخطوط السينائي والإسكندراني. في مقدمة كتابه ضد الهرطقة (Adv. Haer., III, 14, 1)، استند إيريناوس إلى سلطة بولس لينقض الغنوصية في عصره مستشهداً بنص مأخوذ من ١ تم ٤: ١.

رابعاً: صحة نسبة الرسائل الرعائية إلى بولس

طُرحت مسألة كاتب الرسائل الرعائية استناداً إلى الأسلوب والمفردات التي تختلف عن سائر الرسائل، فنُسب إلى أحد تلاميذ بولس تدوين هذه الرسائل أو الجزء الأكبر منها، في حين أن بعض الشراح لا يزالون يتمسكون بصحة نسبة هذه الرسائل إلى بولس.

١- الرسائل الرعائية هي رسائل بولسية

قبل بداية القرن التاسع عشر، لم يظهر في الكتابات المسيحية أي اعتراض على صحة نسبة الرسائل

لكنيسة أورشليم المنكوبة (٢ كور ٨: ٦) نظراً للثقة التي نالها (٢ كور ١٢: ١٧-١٨). لُقِّب بولس "الرفيق والمعاون" (٢ كور ٨: ٢٣)، و"الأخ المحبوب" (٢ كور ٢: ١٣)، وهو تلميذ نزيه ومرتفع (٢ كور ١٢: ١٨). سيقوم هذا التلميذ بمهمة رعوية في دلماطيا (٢ تم ٤: ١٠).

أرسله بولس إلى جزيرة كريت، وهي جزيرة يونانية كبرى في البحر المتوسط، لينظم هناك الكنيسة الناشئة ويُقيم الشيوخ (تي ١: ٥)، وهذا هو المكان الوحيد، في العهد الجديد، الذي يُشير إلى تبشير هذه الجزيرة إذا استثنينا وجود أهل هذه الجزيرة في أورشليم يوم العنصرة (اع ٢: ١١).

ثالثاً: إدراج الرسائل الرعائية ضمن الرسائل البولسية

في تاريخ تكوين مجموعة الرسائل البولسية، تأخذ الرسائل الرعائية مكاناً منفصلاً؛ فهي لا تظهر في المخطوط شبيستر بيتي ٤٦ (p46)، كما أن المخطوط ٣٢ (p32)، الذي كُتب حوالى العام ٢٠٠، يذكر منها المقاطع التالية فقط: تي ١: ١١-١٥؛ ٢: ٣-٨. مرقيون، وهو أول من جمَعَ الرسائل البولسية مبتدئاً بالرسالة إلى غلاطية، يجهل هذه الرسائل، ولكنه أهمل أيضاً أناجيل متى ومرقس ويوحنا؛ ذُكرت اللائحة القديمة للكتابات المفروضة في القراءة الليتورجية في الكنيسة (قانون

صعبة: أرسله بولس إلى تسالونيكي (١ تس ٣: ٢-٦)، وطلب منه أن يُذكر الكورنثيين بتعاليمه (١ كور ٤: ١٧؛ ١٦: ١٠-١١؛ رج ١٩: ٢١ ي)، وكلّفه بالذهاب إلى فيلبّي ليُطمئن قلبه عن أهلها (فل ٢: ١٩-٢٤). مدحه رسول الأمم لأنه ساعده في البشارة كما يساعد الابن أباه (فل ٢: ٢٢)، وختنه لأن أمّه كانت يهودية، الأمر الذي يساعد التلميذ على دخول المجمع (اع ١٦: ٣). جاء إلى روما، فزار بولس المُشرف على الموت في سجنه (٢ تم ٤: ١٩-٢١).

ثانياً: تيطس وكنيسة كريت

تيطس هو تلميذ حقيقي لبولس في الإيمان (تي ١: ٤)، مثلما كان تيموتاوس (١ تم ٢: ١)، لذلك كلّفه الرسول مهمة الحفاظ على تعاليمه. لا نملك معلومات وافية عن تيطس ونحن نستغرب كيف يتجاهله كتاب الأعمال بالرغم من الاحترام الذي يكنّه له بولس! هو مسيحي من أصل وثني، رافق بولس إلى أورشليم (غل ٢: ١-٣) في المرحلة الحساسة من الصراع حول ضرورة ختان الوثنيين؛ اعتنق الإيمان ولم يفرض عليه الرسول الختان (غل ٢: ٣). قام بمهام مستعصية، فنجح في إنهاء الأزمة بين بولس وكنيسة كورنتوس، واستطاع أن يُعيد الجماعة إلى التوبة، واعترف بولس بأهمية هذا الدور (٢ كور ٧: ٦). كلّف بجمع التبرعات

وقيامة الأموات (١ كورنتوس) وغيرها؛ تغيب هذه التوسعات اللاهوتية عن الرسائل الرعائية التي تعرض اعترافات الإيمان في أجواء الجدل مع الهرطقات دون أن نتمكن من معرفة تلك الهرطقات بوضوح. ونشير أيضاً إلى أن الرسائل الرعائية تعالج مسائل التنظيمات الرعوية والعقائد المغلوطة والآداب المسيحية بالعودة إلى أسلوب متميز وفريد يعرفه العالم اليوناني.

من ناحية أخرى، بدأ هاريسون (Harrison) عام ١٩٥٦ أعماله الإحصائية، فلاحظ وجود ٣٠٥ كلمات تستعملها الرسائل الرعائية، وهي لا تظهر في الرسائل البولسية الأخرى (يُسمّى النقّاد هذا الواقع: هاباكس نسبي، Hapax relatif)، وأحصى ١٧٥ كلمة يجهلها العهد الجديد (يُسمّى هذا الواقع: هاباكس مطلق، Hapax absolu).

هذه المعطيات دفعت هؤلاء الشراح إلى الاعتقاد أن بولس المعتقل في السجن، وهو مُكبّل بالسلاسل (٢ تم ١: ٨ و ١٦؛ ٢: ٩) لا يستطيع شخصياً أن يُدوّن هذه الرسائل؛ لذلك يجب التفكير بكاّتب متأخّر توسّع، بأسلوبه الخاص، في الخطوط العريضة لتعليم الرسول، وأقحم الإشارات التاريخية لتبرير تقليد يعود إلى بولس رغبة منه في الحفاظ عليه، وقد تطرّق هذا الكاتب إلى مواضيعه على ضوء ظروف جديدة ومتغيرة. هكذا نستطيع أن نفهم المزاي والسّمات التي تتميز بها الرسائل

تقدّم الرسول في السن وخبرته الرعوية ومواجهته ظروف وحضارات جديدة، ولا عجب إذا لاحظنا أن هذه الرسائل ترد في كتابات اكلمندس الروماني (حوالي ٩٥)، وإغناطيوس الإنطاكي (حوالي ١١٠)، وبوليكرابوس (حوالي ١٣٥)، وقد استندوا إليها مثلما استشهدوا بالرسائل البولسية الأخرى.

٢- الرسائل الرعائية غير بولسية

لاحظ شميت (Schmidt)، في عام ١٨٠٤، أن النوع الأدبي لهذه الرسائل يختلف عن سائر الكتابات البولسية الكبرى، فتبعة نقّاد آخرون أمثال رنان، Renan، دييلبيوس Dibelius، بولتمان Bultmann، كومل Kummel، فاستندوا جميعاً إلى التعابير والمفردات التي تتميز بها الرسائل الرعائية ليؤكدوا أن أحد تلاميذ بولس، في نهاية القرن الأول، أخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن إرث الرسول، فدوّن هذه الرسائل ليتهم على اعترافات المعلمين الكذبة. تجهل الرسائل الرعائية عدداً كبيراً من الكلمات البولسية التي تُشدد عليها الرسائل الأخرى: لا تظهر الإشارات إلى الصليب، ولا نجد فيها الصراع بين الجسد والروح؛ كذلك الأمر، تتضمن هذه الرسائل خصائص متعددة تميزها عن رسائل بولس الكبرى حيث تعودنا على البراهين المنطقية التي يستعملها بولس ليؤكد حقائق إيمانية أساسية تتعلق بالتبرير بالإيمان (رومانيين)

الرعائية إلى بولس، فاعتبرت وكأنّها ملحق للرسائل الأخرى؛ نجد فيها الإطار العام الذي كانت تُكتب فيه الرسائل في ذلك العصر: التوجيه في البداية، صلاة الشكر (في ٢ تم فقط)، التحيات في النهاية؛ ترد فيها إشارات حسية تُلَمّح إلى أحداث تاريخية تعود إلى الرسول: كما هي الحال في المراسلات الخاصة، تكثر فيها الأخبار الشخصية: قليل من الخمر للصحة (١ تم ٥: ٢٣)؛ الرغبة في رؤية تيموتاوس من جديد (٢ تم ١: ٤)؛ ذكر فيجيلس وهرموجينيس اللذين يجهلها العهد الجديد (٢ تم ١: ١٥)؛ لائحة اسمية بالعديد من التلاميذ معاونين لبولس (٢ تم ٤: ١٠-١٢)؛ طلبُ المعطف المتروك في طرواس (٢ تم ٤: ١٣)؛ إشارة إلى سفر عالم الشريعة زيناس وأبلوس (تي ٣: ١٣). اعتبرت النظرية التقليدية أن هذه المعطيات التاريخية الواردة في الرسائل الرعائية تُشكّل برهاناً على صحة نسبة هذه الرسائل إلى بولس حيث لا يمكن إقحام معلومات شخصية وتاريخية ضمن رسالة مدوّنة بعد فترة طويلة من وفاة الرسول.

من ناحية أخرى، يعتبر المدافعون (سبيك Spicq، ودورنيه Domier) عن صحة نسبة الرسائل الرعائية إلى بولس أن تغيير النبرة والأسلوب في هذه الرسائل لا يعود إلى كونها مدوّنة في فترة زمنية متأخرة، بل يمكن فهمه على ضوء

مقدونية، ومن هناك كتب الرسالة الأولى إلى تيموتاوس والرسالة إلى تيطس بين عامي ٦٤ و٦٥، نظراً للتعاقب الأدبي الوارد في هاتين الرسالتين.

أرغم بولس على ترك أفسس نهائياً، فأرسل إليها تيخيكس (٢ تم ٤: ١٢)، وأثناء مروره في ترواس، عند كاربوس، نسي هناك معطفه وبعض الكتب (٢ تم ٤: ١٣)؛ من المحتمل أن يكون أبحر بعد ذلك إلى ميليتس (٢ تم ٤: ٢٠) حين تركه تروفيمس المريض الذي لم يستطع متابعة السفر. ربما أسر بولس ثانية في آسيا الصغرى (ترواس أو أفسس)، ونُقل أسيراً إلى روما حيث شعر أن موته قريب، ومن المفترض أن يُدوّن ٢ تم، عام ٦٧، بعد أن تركه أهل آسيا يموت وحيداً.

هذه المعطيات تفترض أن بولس تحرّر من الأسر في سجن روما (١ ع ٢٨: ٣٠)؛ يؤكد أوسابيوس، في تاريخه الكنسي أن بولس عاد مرة ثانية إلى روما حيث أنهى حياته بالاستشهاد: "بعد أن دافع عن قضيته، ترك الرسول روما لينطلق إلى البشارة من جديد، ثم عاد إلى هذه المدينة مرة ثانية حيث استشهد. في تلك الفترة، حين كان مكبلاً بالسلاسل، دوّن الرسالة الثانية إلى تيموتاوس حيث تكلم على موته القريب... نلاحظ أن استشهاد بولس لم يتم أثناء الأسر الذي أشار إليه كتاب الأعمال الذي دوّنه لوقا. من المحتمل أن

التفكير بالایمان على ضوء تعابير مأخوذة من الدهنية اليونانية. من ناحيته، لاحظ دورنييه أننا لا نستطيع الاستناد إلى وجود كلمات خاصة (هاباكس) بالرسائل الرعائية لنفي أبوة الرسول عنها؛ فإذا طبقنا هذه الطريقة في التفكير على الرسائل الأخرى، سنضطرّ إلى إسنادها، هي بدورها، إلى كاتب من القرن الثاني.

خامساً: الروزنامة البولسية في الرسائل الرعائية

كيف انتهت حياة بولس التبشيرية بعد تحريره من الأسر الذي وقع فيه في روما بين عامي ٦١ و٦٣ (١ ع ٢٨: ٣٠)؟

١- تدوين الرسائل الرعائية بعد التحرر من السجن في روما

تقدّم لنا الرسائل الرعائية معطيات سيروية وتاريخية مهمة تساعدنا على طرح تصوّر للروزنامة البولسية التي توقفت في نهاية كتاب الأعمال. يرى سبيك أن بولس، بعد تحرره من الأسر في روما عام ٦٣، ربّما توجه إلى أسبانيا (روم ١٥: ٢٣-٢٨)؛ بعد عودته إلى كريت، أوكل إلى تيطس مهمة تنظيم الكنيسة في هذه الجزيرة (تي ١: ٥)، وتوجه إلى نيكوبوليس ليمضي هناك فصل الشتاء (تي ٣: ١٢)، ثم عاد إلى أفسس. سلّم كنيسة أفسس إلى تيموتاوس (١ تم ٣: ١)، وتوجه إلى

الرعاية مع تقدّم الكنيسة في الزمن، حيث أضحي الإنجيل في مرحلة تقتضي بأن يشهد المؤمنون له بواسطة الإيمان والأفعال.

لا يتبع المدافعون عن صحة نسبة الرسائل الرعائية إلى بولس موقفاً موحّداً، وهم يعترفون أنه، إذا كانت الرسائل الثلاث تأتي من كاتب واحد، ولكنها ليست مُشابهة: إن للرسالة الأولى إلى تيموتاوس وللرسالة إلى تيطس عدّة موضوعات مُشتركة، في حين أن ٢ تم تبدو وكأنّها وصيّة يوجّهها بولس إلى أحد تلاميذه، وهذا دليل على وجود عدّة كتاب لهذه الرسائل.

بعد أن عرضنا الموقفين المتقابلين حول صحة نسبة الرسائل الرعائية، نشير إلى أن عدّة شراح (نذكر من بينهم: سبيك، دورنييه) لا يزالون يعتقدون أن الرسول دوّن الرسالة الأولى إلى تيموتاوس والرسالة إلى تيطس، بدون شك من اليونان أو من مكدونية، بين عامي ٦٤ و٦٧؛ هم يعتبرون أنه، للمرة الأولى، يتمّ التعبير عن الآداب المسيحية بواسطة كلمات تنتمي إلى الأدب الهليني؛ قبل الرسائل الرعائية، صاغ الرسول لاهوته بالاستناد إلى اليهودية، وفي ارتباط مع أنبياء العهد القديم؛ لكن المسيحية اندمجت في العالم اليوناني الذي تميّز ثقافته عن الإرث اليهودي، لذلك طُرحت حاجة إلى

شهادة حياة للمسيح القائم من الموت، في حين أن بعض الإشارات التاريخية تصب في هذا المسار.

سادساً: تطوّر اللاهوت البولسي في الرسائل الرعائية

لماذا تفرد الرسائل الرعائية في ذكر موضوعات ومسائل تجهلها الرسائل الأخرى؟ ما هو سبب تغيير المفردات والأسلوب، مع العلم أن الفترة الزمنية التي انتهت فيها تدوين الرسائل الكبرى (٦٠-٥١) ليست بعيدة عن تاريخ تدوين الرسائل الرعائية؟

عرّضنا أعلاه أن بعض الشراح وجدوا حلاً لهذه المشكلة، فاعتبروا أن هذه الرسائل دُوّنت بعد وفاة الرسول بفترة ملحوظة من الزمن، غير أن المدافعين عن صحة نسبة الرسائل الرعائية إلى بولس ينظرون إلى هذا الواقع من زاوية أخرى.

يختصر دورنييه أهم الخصائص التي تتميز بها الرسائل الرعائية عن سائر الرسائل البولسية، على الشكل التالي:

- ١- الإيمان أضحى عقيدة، في الرسائل الرعائية، في حين أن الرسائل الأخرى تعتبر الإيمان بشكل رباط حي بين المسيح والمؤمن.
- ٢- تشدد الرسائل الرعائية على ضرورة القيام بالأعمال الصالحة أكثر من تركيزها على "العيش بحسب الروح".

Robinson، دي ليستايس (S. de Lestapis). هذا التصوّر يفترض أن سكرتير بولس دوّن هذه الرسائل بعد أن أخذ تفويضاً من الرسول القابع في السجن لكي يكتب بحرية.

تُعبد الروزنامة التي تقترحها هذه النظرية بناء حياة بولس بين عامي ٥٤ و ٦١ (دي ليستايس) أو بين عامي ٥٨ و ٥٩ (روينسون)، وترتكز إعادة البناء هذه على دمج، بطريقة احتمالية وغير مؤكدة، ثلاث معطيات تاريخية مأخوذة من الرسائل البولسية ومن كتاب الأعمال، ومن الرسائل الرعائية. لا تأخذ إعادة البناء هذه بعين الاعتبار مسألة تعيين الأساقفة، وتنظيم الكنائس التي نجدها في الرسائل الرعائية، وتتجاهل أيضاً التطوّرات، في التعليم العقائدي، التي يجب أن تُنسب إلى نفس المؤلف. هذه الصعوبات التي تصطدم بها الروزنامة المقترحة لا تستطيع أن تعرض تصوّراً متكاملًا يتضمن تدوين الرسائل البولسية في إطار تنقّلات الرسول بين المدن التي بشر فيها.

هل دوّن بولس الرسائل الرعائية قبل الأسر في روما أم بعده؟ لم يتوصّل الشراح إلى نتيجة ممكنة نظراً لتضارب بعض المعطيات التاريخية التي تزوّنا بالمعلومات عن تنقّلات الرسول. ولكن ليس لهذا الغموض أية قيمة ملحوظة؛ فنحن لا نهتمّ بكيفية تنقّلات الرسول (بالرغم من أهميتها) لأن حياته كلّها كانت

يكون نيرون متسامحاً في بداية حكمه، وربما دافع عن قضية بولس وعن تعليمه" (التاريخ الكنسي ٢/ ٢٥، ٢-٨).

هذا يعني أن بولس مات في روما عام ٦٧. في هذا الإطار، نستطيع أن نفهم عبارة إكلمنس الروماني: "بعد أن علّم الحقّ للعالم أجمع، وبعد وصوله إلى أقصى الغرب، وشهادته أمام الولاة (٢٢ م ٧٤)، ترك بولس العالم" (١ كلمندس ٥: ٧).

نشير إلى أن هذا التصوّر للروزنامة البولسية يفترض تنقّلات متعددة للرسول ومعاونيه، ذهاباً وإياباً، ومن الصعب قبول بعض هذه الاقتراحات نظراً لتقدّم الرسول في السن (الرسالة إلى فيلمون المكتوبة قبل الرسائل الرعائية بقليل تعرض بولس الشيخ؛ فلم ٩)، وعجزه عن القيام بهذه الرحلات الطويلة أثناء فترة زمنية قصيرة.

٢- تدوين الرسائل الرعائية أثناء الرحلات الرسولية

في سبيل تجاوز الصعوبات الواردة في الاقتراحات التي تفترض تدوين الرسائل الرعائية بعد نهاية كتاب الأعمال، اعتبر بعض النقاد أنه يجب قلب هذه المعطيات، فوضعوا تدوين الرسائل الرعائية ضمن الروزنامة التي يعرضها كتاب الأعمال، وذلك بين الرحلة الرسولية الثالثة والأسر في قيصرية أو روما (ريك Reicke، روبنسون

٣- تركز الحياة المسيحية، في الرسائل الرعائية، على التقوى ومعرفة الحق.

٤- يحقق الروح، في حوض العماد (نسي ٢: ٥)، الولادة الجديدة للإنسان.

٥- لا تظهر المحبة، في الرسائل الرعائية، وكأنها الفضيلة المثلى بل وكأنها فضيلة تشبه سائر الفضائل.

٦- تتدخل النعمة لتسند الجهود البشرية وتساعد على بذل المستطاع للتقرب من الله.

لا يرى دورنييه تناقضاً جذرياً بين الرسائل الرعائية والرسائل الأخرى؛ فالمواضيع هي متشابهة تقريباً، ولكن يمكن الاعتبار أن نقطة الارتكاز انتقلت وتغيرت. إن تغيير النبرة والمفردات والتعابير هو نتيجة طبيعية تدل على خبرة الرسول أثناء رحلاته وأسفاره، وتعددية الأوضاع التي تمر بها الكنائس، والموضوعات الجديدة المطروحة للبحث.

سابعاً: لاهوت الرسائل الرعائية

تتضمن الرسالة الأولى إلى تيموتاوس والرسالة إلى تيطس موضوعات لاهوتية مشتركة، فتشدد على ضرورة مقاومة المعلمين الكذبة، وتعرض تنظيم الكنائس، وتتميز بإسناد ألقاب محددة إلى المسيح، وتنفرد عن سائر كتابات العهد الجديد باستعمال

تعابير خاصة بها؛ سنتطرق إلى هذه المسائل بطريقة عابرة، وسنهمل الرسالة الثانية إلى تيموتاوس لأنها تبدو وكأنها آخر وصية روحية يقدمها بولس إلى تلميذه، مع العلم أن هذه الرسالة ستحظى لاحقاً بعدد خاص بها.

١- التقوى ومعرفة الحق

التقوى هي وضعية المؤمن العابد، وهي ليست مجرد انحناء أثناء الصلاة، بل هي قوة داخلية تعمل جاهدة لتغيير الحياة؛ فالتصرف الخارجي لا معنى له إذا لم يكن تعبيراً عن نشاط الروح. أما عبارة "معرفة الحق" فهي لا تشير إلى معرفة نكتسبها بواسطة قوى العقل الذاتية، وتعلق مباشرة بالإيمان الذي يربطنا بالله الذي نتعرف إليه فنجبه وننطق إليه.

تستعمل الرسائل الرعائية بتواتر (١٢ مرة) كلمة "التقوى" = أوسيبيا (١٢ م ٣: ٤١٦: ٤-٧: ٤٨: ٦ و ٥ و ٣: ٢٤١١ و ٣: ٥: ١)، وهذه الكلمة ترد نادراً في العهد الجديد (١٢: ٣ ع ١٢: ٢ بط ١: ٣-٧: ٣: ١١)؛ هذا يعني أن الرسائل الرعائية تشدد على استعمال هذا "الهاباكس" النسبي نظراً لأهميته بالنسبة إلى كاتبها، مع العلم أن عبارة "معرفة الحق" هي بدورها خاصة بالرسائل الرعائية إذا استثنينا ظهورها في الرسالة إلى العبرانيين (عب ١٠: ٢٦).

تؤكد مقدمة الرسالة إلى تيطس

على التلازم بين "معرفة الحق" والتقوى: "من بولس عبد الله ورسول يسوع المسيح ليهدي الذين اختارهم الله إلى الإيمان وإلى معرفة الحق الموافقة للتقوى على رجاء الحياة الأبدية" (تي ١: ١)؛ هناك وجهتان للعلاقة بين معرفة الحق والتقوى: الأولى تعتبر أن معرفة الحق لها ميزة أساسية، وهي العيش في التقوى، والثانية تعتبر أن معرفة الحق تقود إلى التقوى؛ في الحالة الأولى، تتطابق معرفة الحق مع التقوى، في حين أنه، في الحالة الثانية، تختلف معرفة الحق عن التقوى، لأن الأولى توصل المؤمن إلى الثانية.

يطلب الرسول من تيموتاوس أن يروض نفسه بالتقوى (١ تم ٤: ٧-٨)؛ فعليه أن يتمثل بالمتبارزين الذين يبذلون جهوداً جبارة أثناء ممارسة الرياضة والتدريب على فنونها؛ تتطلب الحياة المسيحية جهوداً وصراعات وامتناعاً عن شهوات محددة في سبيل الحصول على الفائدة المرجوة، وهي إكليل الظفر المتمثل في الحياة الأبدية. غير أن المعلمين الكذبة يتعدون عن التقوى الحقيقية (٢ تم ٣: ٥).

باختصار تهدف الرسائل الرعائية إلى إرشاد المؤمنين في الخلاص الأبدي، ويمكن الوصول إلى هذا الهدف من خلال اتباع التقوى التي تتطابق مع الحياة الأبدية نفسها، لأن مقدمة الرسالة إلى تيطس (١: ١-٢) تشدد على العلاقة

بين التقوى والحياة الأبدية: التقوى هي أساس الرجاء بالحياة الأبدية، ونحن نجد صدى لهذا الواقع في ١ تم ٤: ٨ في التقوى كل الخير، لأن لها الوعد بالحياة الحاضرة والمستقبلية.

٢- التنظيم الكنسي

أرسل بولس تلميذه تيموتاوس وتيطس إلى أفسس وكريت ليثبتا المؤمنين هناك، ولقد هما سلطة كاملة، وطلب منهما أن يعلما الإيمان المستقيم (تسي ٢: ٢٨؛ ٢ تم ٢: ١٥)، وأن يختاراً الأساقفة والسيوخ والشماسة، لأن نمو الكنيسة السريع يتطلب زيادة المسؤولين عليها. إن الوظيفة الأساسية لخدام الكلمة هي التبشير (١ تم ٥: ١٧)، وعليهم أن يتسلموا العقيدة (٢ تم ٢: ٢؛ رج لو ١٢: ٤٨؛ ١ تم ١: ١٨)، والمفروض أن يكونوا أشخاصاً موثوقاً بهم، لذلك يجب أن يكون تيموتاوس حذراً أثناء اختيار المسؤولين على الكنائس (١ تم ٥: ٢٢)، وينبغي عليه أن يجمع الشهادات حول المدعوين إلى هذه الوظيفة الكنسية (١ تم ٣: ٧)، وبعد ذلك يستطيع أن يحكم شخصياً على هذا الاختيار (١ تم ٣: ٢-١٢؛ تي ١: ٦-٩).

٣- الهرطقات

نجد في الرسائل الرعائية الثلاث تشديداً على ضرورة مقاومة المعلمين الكذبة. يعتبر كريس (٣) أن المقاطع التي تعالج هذه المسألة تستعيد رسمه تقليدية يستعملها الفلاسفة في معرض مجادلاتهم مع السفسطائيين: يريد الكاتب التأكيد على أن تعليمه هو حكمة حقيقية وعقيدة سليمة تختلف تماماً عن تعليم خصومه الهرطقة والمتحيزين (تي ٣: ٩).

يبدو أن هؤلاء الخصوم هم يهود-مسيحيون يعلمون الشريعة (١ تم ٧: ١؛ تي ٣: ٩)، ويشددون على أساطير اليهود (١ تم ٤: ٤؛ ٤ تم ١: ١٤؛ تي ١: ٧؛ تي ٤: ٤؛ ٤ تم ١: ١٤؛ تي ١: ٧؛ تي ٤: ٤؛ ٤ تم ١: ١٤). وعلى الأنساب والسلالات التي لا نهاية لها (١ تم ١: ٤؛ تي ٣: ٩)، ويحرمون الزواج (١ تم ٣: ٤)، ولا يحترمون نظام تحریم بعض الأطعمة (١ تم ٣-٥). هم يعتبرون أن القيامة في اليوم الأخير تحققت (٢ تم ٢: ١٨).

تؤكد الرسائل الرعائية أن الهرطقة لا يزالون موجودين ضمن الجماعة المسيحية، ولم يفصلوا عنها إلا في الحالات القصوى، وذلك بعد تلقيهم الإنذار مرة أولى وثانية (تي ٢: ١٠)،

إن الألقاب التي تُسند لها الرسائل الرعائية إلى المسؤولين عن الكنيسة هي بمعظمها مجهولة من الرسائل البولسية الكبرى، وهذه الألقاب هي مزيج مأخوذ من التعليم البولسي السابق (أساقفة، شمامسة، فل ١: ١)، ومن اليهود-مسيحية (السيوخ، اع ١١: ٣٠؛ ١٤: ٢٣؛ ١٥: ٢٢؛ يع ٥: ١٤)، ومن كتاب الأعمال (السيوخ، الأساقفة، اع ٢٠: ١٧؛ ٢٨)؛ في الرسائل الرعائية، لا تتضح العلاقة بين لقب "الشيخ" (١ تم ٥: ١ و ١٧ و ١٩؛ تي ١: ٥) و"الأسقف" الذي يستعمل دائماً في حالة المفرد (١ تم ٣: ٢؛ تي ١: ٧)، كما أننا نجد إشارة إلى الأسقفية (١ تم ٣: ١). نلاحظ أن وظيفة المسؤولين عن الكنيسة، في هذه الرسائل، هي ثلاثية: ترؤس الاجتماعات، تعليم كلمة الله، ورفض العقائد المغلوطة من خلال السهر على الإيمان (٢).

لا بد من الإشارة إلى أن الرسائل الرعائية تميز بشكل واضح بين شعب الله، من جهة، وبين السيوخ المسؤولين، من جهة أخرى، وهذا يفترض أن تكون الكنيسة وصلت إلى مرحلة متقدمة من حياتها، وربما استند بعض النقاد إلى هذا الواقع ليبرهنوا أن الرسائل الرعائية دُوّنت بعد وفاة الرسول.

(٢) راجع: A. LEMAIRE, *Les ministères aux origines de l'Eglise*, LD 68, Paris 1971, p. 123-138.

(٣) راجع: R. J. KARRIS, «The Background and Significance of the Polemic of the Pastoral Epistles», *Catholic Theological Union* 92 راجع: (1973) 549-564.

آن معاً، فهي تؤكد على الوحدة في العمل بينهما في سبيل خلاص البشر.

خاتمة

تختلف الرسائل الرعائية عن سائر الرسائل الموجهة إلى الجماعات المسيحية في الكنائس؛ فهي رسائل شخصية تتضمن تحذيرات قاسية للتلميذين وتحريضات على التقوى؛ ولكن، بالرغم من كونها تتوجه إلى أشخاص، فإنها تتميز بطابع كنسي: ستقرأ تعليمات الرسول أمام الأساقفة، الشيوخ، الشماسية، الرجال والنساء، العجائز والشبان، العذارى والأرامل، العبيد والأسياد. يستند معاونو بولس إلى تعليماته ليستعملوا سلطتهم في إدارة الكنائس.

لعبت الرسائل الرعائية دوراً ملحوظاً في النقاشات المعاصرة حول الخدمة الكهنوتية والوظائف في الكنيسة، لأنها تشكل النواة والمعين الذين يستند إليهم الباحثون لكي يتمكنوا من صياغة نظرياتهم وأبحاثهم حول الوظيفة الكهنوتية.

تحتفظ الرسائل الرعائية بالعقائد الإيمانية الأساسية: التجسد (١ تم ٣: ١٦)، الآلام في عهد بيلاطوس البنطي (١ تم ٦: ١٣)، القيامة من بين الأموات (٢ تم ٢: ٨)، والتجلي الأخير أثناء الدينونة (٢ تم ٤: ١)؛ لعل هذه العقائد الأساسية تشكل نواة لقوانين الإيمان التي ظهرت في الكنيسة الأولى.

من ناحية أخرى، تشدد الرسائل الرعائية على لقب "المخلص"، ونجد إشارات إلى عبارة مميزة هي: "الله مخلص" (تي ٢: ١٠ و ١٣ و ٢ تم ٩: ٩)، فتطبق هذه العبارة أحياناً على الآب، وأحياناً أخرى على المسيح: "منتظرين الرجاء السعيد وظهور مجد إلهنا العظيم ومخلصنا يسوع المسيح (تي ٢: ١٣)؛ في كل الرسائل البولسية، لا يطلق لقب "الله" على يسوع إلا في الرسالة إلى الرومانيين (٩: ٥)، ولكننا سنجد إسناد لقب "الله" إلى يسوع في مواقع أخرى (عب ١: ٨ ي ١: ١ و ١٨ و ٢٠: ٢٨ ي ٥: ٢٠ و ٢: ١ بط ١: ١)، وسيُضحى هذا اللقب متداولاً انطلاقاً من إغناطيوس الإنطاكي. حين تُسند الرسائل الرعائية لقب "المخلص" إلى الآب والابن في

وهذه إشارة إلى أن هذه الرسائل دُوّنت في القرن الأول للمسيحية، في أيام الرسول، لأن كنيسة القرن الثاني حسمت مسألة الهرطقة وطردتهم نهائياً من الجماعة المصلية. ولكن هناك رأي آخر اقترحه بور (F. C. Baur) الذي يفترض أن هؤلاء الهرطقة ينتمون إلى الغنوصية التي عرفها القرن الثاني، وبشكل أدق المرقيونية، ولكن أصول الغنوصية، في تلك الحقبة، كانت لا تزال غامضة ولا يمكن التأكيد أنها نشأت في القرن الثاني.

٤- الكرسولوجيا في الرسائل الرعائية

احتفظت رسائل الأسر (فيليبي، كولوسي، أفسس) بنشائد كرسولوجية تُعظم المسيح الخالق والموجود منذ الأزل، في حين أن الرسائل الرعائية لا تهتم بشخص المسيح، بل تشدد على دوره في تحقيق الخلاص، وتؤكد أنه "الوسيط" الوحيد بين الله والناس (١ تم ٥: ٢)؛ كذلك نجد إشارة، في هذه الرسائل، إلى أصل المسيح الداودي (٢ تم ٢: ٨) الذي قدم ذاته لأجل خلاص الخطاة (١ تم ١: ١٥ و ٢: ٦ تي ٢: ١٤).

تيطس وواجب التعليم في الكنيسة



الأب لويس الخوند

أستاذ مادة اللاهوت الخلقي في جامعة الروح القدس، الكسليك

المقدمة

تيطس هو تلميذ لبولس الرسول، من والدين وثنيين، لم يختنه بولس، بل استصحبه إلى مجمع الرسل في أورشليم، سنة ٤٩، شاهداً حياً على مبدأ الحرية المسيحية التي نادى بها بولس، في النظر إلى شريعة الختانة. استطاع تيطس بذكائه وصفاء روحه أن يحل مشاكل عدة مستعصية في الكنيسة الأولى، وأنهى خلافاً كبيراً وقع بين أهل قورنتس والرسول بولس، ونجح في جمع التبرعات من كنائس العالم الهليني لكنيسة أورشليم.

أما الرسالة إلى تيطس فهي رعائية، تتوجه إلى الكنيسة في وجه عام. فإن صحت نسبتها إلى الفريسي بولس على الصعيد اللاهوتي والروحاني، لا تصح نسبتها إليه على الصعيد التاريخي والأدبي، بل هي قراءة جديدة وتأويل وتحديث وتطبيق جديد لتفكير بولس وتعليمه على ظروف راهنة جديدة في الكنيسة، تعكس وضع هذه الأخيرة في أواخر القرن الأول.

إنها رسالة قصيرة لا تتعدى ثلاثة فصول، يركز فيها الرسول على ثلاثة موضوعات واضحة لعين القارئ وهي: تنظيم الكنيسة (١: ٥-٩؛ ٢: ١-١٠)، وتحذير من المعلمين الكاذبين (١: ١٠-١٦)، والتعليم الصحيح (٢: ١١-١٥؛ ٣: ١-١١).

١- تنظيم الكنيسة

(١) الشيوخ والأساقفة (١: ٥-٩)

في ثلاثة مقاطع متقاطعة ومتكاملة يركز الرسول على أن الكنيسة، أي جماعة المؤمنين، في جزيرة كريت، كما في أي مدينة أخرى، هي جماعة منظمة، يُدير شؤونها "شيوخ" مقدسون في الجماعة سنّاً وقَدراً (١: ٥)، و"أساقفة"، حرفياً "مناظرون"، إخوة يلاحظون، يسهرون على المؤمنين، ويصعب تمييزهم عن "الشيوخ" (١: ٧). ويستفيض الرسول في وصف أولئك "الشيوخ" و"الأساقفة" والمسؤولين عن الجماعات الكنسية في كل مدينة، بصفات مميزة خاصة، أولها أن يكونوا

لا شكوى عليهم (١: ٦، ٧)، أي لا لوم عليهم في حياتهم الشخصية وفي علاقاتهم بكل الأشخاص ضمن جماعة المؤمنين. وفي الآيتين ٧ و ٨ يعدد الرسول إحدى عشرة صفة شخصية مميزة "للأسقف" بوصفه وكيلاً لله في نظر الجماعة، وكلها صفات إنسانية مألوفة في الأدب اليوناني الشعبي، خمس منها سلبية، وهي: غير معجب بنفسه، ولا غضوب، ولا سكير، ولا ضارب، ولا ساع إلى ربح خسيس (١: ٧)؛ وست أخرى إيجابية، وهي: مضياف، ومحب للصالح، ورزين، وقديس، وعفيف (١: ٨). إلى كل هذه الصفات، يضيف الرسول صفة أخرى عائلية، وهي أن يكون المسؤول في الكنيسة رجلاً امرأة واحدة، أي حريصاً على الأمانة الزوجية المطلقة، لزوج واحدة، مدى الحياة، وحريصاً على تربية بنيه تربية إنسانية ومسيحية كاملة (١: ٦).

أما الصفة الخاصة المميزة للشيوخ وللأسقف، فهي وعظ المؤمنين، وتعليمهم بصدق وأمانة للتقليد

٢- تحذير المعلمين الكاذبين

(١٦: ١٠-١)

تخصّص الرسالة إلى تيطس مقطعاً كاملاً للتحذير من المعلمين الكاذبين الذين ينبغي دحضهم على الصعيدين النظري والعملي، بقصد إعادتهم إلى الإيمان القويم.

المعلمون الكذّابون، في الرسالة إلى تيطس، طابعهم يهودي، من أهل الختانة (١٠: ١)، مبالغون إلى "خرافات يهودية" (١٤: ١)، يجادلون في شأن الطاهر والنجس (١٤: ١-١٥)؛ وفي نظريات وشروح نسبها التقليد اليهودي حول شخصية الآباء الأقدمين، وأبطال الكتاب المقدس، وأحداث تاريخ الخلاص، وقد صارت موضوع إلهام واسع للنظريات الغوسية، وللمعلمين الكذّابين (٣: ٩). وطابعهم أيضاً كريتي محلي، يُطبّق عليهم قول أحد شعراء جزيرة كريت (١٢: ١)، وهو الشاعر إيبينيه، من القرن السادس قبل المسيح. ويظهر أن أهل كريت كانوا معروفين، في العالم القديم، بأنهم كذّابون، يحبّون المال، والبطالة، ولا يراعون أحداً في شيء.

ويصفهم الرسول بنعوت قاسية جداً ولاذعة أحياناً كثيرة؛ فهم عصاة، ناطقون بالباطل، خدّاعون، يجب أن تُكَمَّ أفواههم، وهم يقلبون بيوتاً برمتها، ويعلمون ما لا ينبغي، من أجل ربح خسيس (١٠: ١-١١). إنهم يعترفون أنهم يعرفون الله، ولكنهم ينكرون الله بأعمالهم، وهم أرجاس،

(٤) العبيد (٩: ٢-١٠)

في بدء المسيحية، طُرحت مشكلة العبودية على ضمير الكنيسة المسيحية الأولى باكراً جداً، وكان من العبيد مهتدون إلى المسيح يسوع كثيرون. والحلّ كان أن المحبة والأخوة في المسيح يسوع تكفيان لتمحو كل عبودية. بهذا المقطع الصغير، يطلب الرسول بولس من العبيد الخضوع لأربابهم، والرضى وعدم المعارضة، وعدم السرقة والاختلاس لأي شيء، والأمانة التامة في كل شيء، وكل ذلك ليكونوا فخراً وزينة في كل شيء لتعليم الله مخلصنا.

(٥) عموم المؤمنين (٣: ١-٢)

يجب أن يعمّم التعليم على جميع المؤمنين في كل جماعة مسيحية، وأن يكرّر التعليم مراراً، وينبغي التذكير به دائماً (٣: ١)، وهذا من واجب تيطس، وكل "شيخ" و"أسقف"، كان على تيطس أن يُقيّمه في كل مدينة، بأمر من الرسول (١: ٥). ويختصر بولس هنا التذكير بأمرين هامّين، وهما واجب خضوع المسيحيين للسلطات المدنية الحاكمة، وواجب علاقتهم الطيبة بالناس أجمعين، بالاستعداد لكل عمل صالح (٣: ١)، وتجنّب التجديف على أحد، وعدم المحاكمة لأحد، بنوع سلبّي، وبال حلم والوداعة بنوع إيجابّي.

الكنسيّ السليم، ودحض المعلمين الكذّابين، وحماية المؤمنين من شرّ تعليمهم (١: ٩).

(٢) العجزة والعجائز (٢: ١-٥)

هؤلاء هم فئة من أبناء الكنيسة، يوجّه إليهم الرسول نصائح خاصة مألوفة في الأدب الإغريقي المعاصر، لكنّ طابعها المسيحيّ يظهر في ذكر الفضائل الإلهية الثلاث، الإيمان والمحبة والرجاء (الثبات) (٢: ٢). ويعلّق الرسول أهمية كبرى خصوصاً على الواجبات العائلية البيّنة (٢: ٤-٥). وعلى تيطس، وهو في مقام "الشيخ" و"الأسقف" أن يوصل إليهم التعليم السليم كما يليق (٢: ١).

(٣) الشبان (٢: ٢-٨)

الشبان فئة أساسية هامة في جماعة المؤمنين، وعلى "الشيخ" و"الأسقف" أن يعظّمهم (٢: ٦)، ويكون مثلاً لهم في التعليم السليم (٢: ٧)، ويجسّد أمامهم الكلمة السليمة الصحيحة المنزهة عن أي خطأ (٢: ٨). يشدّد الرسول في هذا المقطع على واجب المسؤول عن الشبان، ولا يصف الشبان إلا بكلمة "أن يكونوا عاقلين" (٢: ٦)، وكأنها الميزة السّمية للشبان في نظر الرسول. بعد العجزة والعجائز والشبان، يخصّص الرسول فئة العبيد.

المقدس أنه غسل وولادة جديدة،
وتجديد بالروح القدس الذي
أفاضه مخلصنا يسوع المسيح على
المؤمنين المعمدين، ليواصل عمل
الله الخلاصي في المؤمنين، حالياً
وعلى مدى التاريخ.

خامساً، وأخيراً الآية ٧ تثبت المعمدين
على نعمة التبرير التي نالوها،
والتي تؤهلهم، إذا التزموا بها،
لميراث الحياة الأبدية.

بعد الاستشهاد بهذا المقطع
التقليدي، يؤكد الرسول صدق ما قيل
فيه، ويسأل تيطس أن يؤكد تلك
الأمور تأكيداً مطلقاً، ليُتيح للمؤمنين
أن يهتموا حتى الإبداع بالأعمال
الصالحة، ثم يعود من جديد فيؤكد أن
التعليم الصحيح هو أمر جيد حسن
ونافع لجميع الناس (٨: ٣).

ويختتم نصائحه له بأن يكون على
وضوح تام على المبتدعين، لينذرهم
مرة واثنين، قبل فصلهم نهائياً عن
جماعة المؤمنين. وتجدر الملاحظة أن
لفظة "مبتدع"، في الأصل اليوناني،
صفة مشتقة من فعل "اختار"، "أثر"،
وهي فريدة العهد الجديد، مأخوذة من
تعايير المدارس الفلسفية المعاصرة؛
"فالمبتدع"، في الكنيسة، هو ذلك
الذي "يختار" و"يؤثر"، في بين جميع
الحقائق الإيمانية، تلك التي يراها هو
مناسبة، ومن هنا صارت الكلمة
"مبتدع" تعني "المهرطق، المنشق".

ثالثاً: إيمان بظهور الرب الآخر ممجداً
وانتظار الرجاء السعيد (١٣: ١)؛

رابعاً: انضمام إلى كنيسة اقتناها المسيح
بدمه وفداها من كل إثم، والتزام
بالعيش فيها، والغيرة على الأعمال
الصالحة (١٤: ١).

على تيطس، وعلى كل "شيخ"
و"أسقف" مسؤول في كنيسة الرب
يسوع، أن يقول ويردّد هذه الأمور
كلها، ويعظ بها، ويوبّخ بكل سلطانه
المخالفين لها، بدون أي خوف من
الاحتقار من قبل المعلمين الكذابين
المخالفين (١٥: ١).

(٢) المقطع الثاني (٣: ١١-١٠)

نجد في الآيات ٣-٧ خلاصة تعليم
مسيحي كاملة، مؤلفة في إطار مادي،
مألوفة في تبشير الكنيسة الأولى:

أولاً، الآية ٣ تذكر المؤمنين المعمدين
بماضيهم الخاطئ، كيف كانوا من
قبل أغبياء، عاقين، ضالين،
مستعبدين لشهوات ولذات شتى،
سالكين في سوء وحسد، ممقوتين
ومبغضين بعضهم بعضاً؛

ثانياً، الآية ٤ تشدد على محبة الله المجانية
المطلقة التي هي على أساس عمله
الخلاصي؛

ثالثاً، الآيات ٤-٦ تركز بوضوح على
عمل الثالوث الأقدس في تاريخ
الخلاص؛

رابعاً، الآيات ٥-٦ تفسران سرّ العماد

عائون، بعيدون كل البعد عن كل عمل
صالح (١٦: ١). لقد أعرضوا عن الحق
(١٣: ١)، وأمسى عقلهم وضميرهم
منجّسين (١٤: ١).

بعد كل هذه الأوصاف الشنيعة
يبقى على المسؤول تيطس، وكل "شيخ"
و"أسقف"، أن يقوم بدوره كاملاً،
فيوبّخهم توبيخاً قاسياً، حتى يعودوا
إلى الإيمان السليم (١٣: ١). إن التوبيخ
القاسي، مضافاً إلى قول الشاعر اللاذع
المحقّر، لا يتوافق مع صفات "خادم
الرب" التي ذكرناها أعلاه، وهي أن
يكون مع الجميع ذا لطف ورفق
ووداعة وصبر، ولكن الخطر الكبير
على المؤمنين يقتضي مثل هذا الموقف
الصلب القاسي!

٣- التعليم الصحيح

يختصر الرسول تعليمه الصحيح في
مقطعين

(١) المقطع الأول (٢: ١١-١٥)

هو مقطع لاهوتي، مفرداته
وأسلوبه تدلّ على أنه بقية من صورة
اعتراف بالإيمان المستقيم، والتزام به في
إطار ليتورجي عادي. وتصميم هذا
المقطع هو اختصار للإيمان والعيش
المسيحيين:

أولاً: فعل إيمان بظهور محبة الله ونعمته
المخلصة الشاملة لجميع الناس (٢: ١١)؛

ثانياً: التزام بعيش جديد بعيد عن كل
كفر وشهوة (١٢: ١)؛

الخاتمة

هكذا يكون الرسول بولس، في الرسالة الى تيطس، قد حذّرنا من المعلمين الكذابين، وشدد على التزامنا بـ "التعليم الصحيح"، تعليم الرب والمعلم، المنبثق من العقل السليم والوحي الإلهي، وخصوصاً شهادة ربنا يسوع المسيح، حياة وأعمالاً وتعاليم.

هذا وإن الواقع المعاصر لتيطس ورسائله لا يزال واقعنا اليوم، إذ كثرة هي، اليوم، التيارات والبدع والنظريات التي تهدّد صفاء التعليم الصحيح؛ فنحن اليوم، كما في الماضي، نلتزم تمييز الحق من الباطل، والتعليم الصحيح من تعاليم الضلال. وكنيسة المسيح اليوم، كما في

الماضي، هي قيّمة على سلامة العقل والوحي في آن، لأنها "أمّ ومعلّمة"، خبيرة في الإنسانيات والإلهيات والخلقيات.

من هنا الضرورة الملحة للالتزام بالثقافة البيبلية المستمرة، "لأنّ علم الكتاب المقدّس يجب أن يكون بمثابة الروح من علم اللاهوت بأجمعه" (ول ٢٤؛ ت ك ١٦)، ولأن "الكتاب كلّهُ هو مفيد للتقويم والتعليم والتأديب، في البرّ وقداصة السيرة، في الروح والحق، أمام الله والناس". والكنيسة اليوم هي شعب الله الجديد، بأساقفة وكهنة ورهبان وعلمانيين. والدعوة الى التعلّم الصحيح والقداصة والرسالة تشمل الجميع؛ فالتعليم الصحيح هو حقّ لكل إنسان وواجب عليه في آن. وفي هذا المجال "جميعنا مسؤولون عن

جميعنا" (يوحنا بولس الثاني)، لأننا جميعاً معاً مدعوون إلى القداصة. لذا فالمسيحيون "القديسون"، وأنقياء القلوب، هم من جعلوا عقولهم وإرادتهم في انسجام مع مقتضيات قداصة الله، وصدقته وحكمته ووصاياه وتعاليمه، خصوصاً في مجال حبّ الحقيقة واستقامة الإيمان (١: ١٥). وهذا وقّف على "التعليم الصحيح"، الذي هو زاد الفكر السليم، الذي يجدّد الأشخاص والمؤسسات. و"التعليم الصحيح" يفترض جهداً يتكرّر في كلّ مراحل الحياة (٢: ١-٦)، "لئلاّ يُجْدَفَ على كلام الله" (٢: ٥). فيجب أن "نحيا في الدهر الحاضر على مقتضى التعقل والعدل والتقوى" (٢: ١٢)، مزودين دائماً بـ "التعليم الصحيح".

المراجع

- أونغليون، الرسائل والروايات، كلية اللاهوت الحبرية - الكسليك، ١٩٩٢، ص ١٠٠٣-١٠٠٨.
بولس الفغالي، رسالة القديس بولس إلى تلميذه تيطس، ملفات كتابية، ٢٣، الرابطة الكتابية، المكتبة البولسية، ٢٠٠١.
جون ماكسويل، الكتاب المقدس. دراسات في القيادة، جمعية الكتاب المقدس، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١٥١٧-١٥٢٣.
Edouard Cothenet, *Les épîtres pastorales*, Cahiers Evangile, 72, Cerf: Paris.
Rinaldo Fabius, *Le lettere di Paolo*, Borla, Roma.
Chantal Reynier - Michel Trimouille, *Les épîtres de Paul*, III, Bayard-Centurion, 1997.
«Tite», dans *Nouveau dictionnaire biblique*, Emmaüs, Suisse, 1979, p. 754-755.

١ تم ١: ٣-٧

مهمة تيموتاوس: مواجهة التضليل ونقل البشارة بأمانة

مقدمة

عند الكلام على مُرْسَلٍ من الله، أولى المعطيات التي ينبغي إثباتها هي مسألة أصالة رسالته وصدقها وحقيقتها، وهذا ما تؤمنه شهادة خادم الله الذي يتجلى لهذا الأخير ويحوّله بروحه القدوس إلى إنسان ملهم عالم بأمور السماء، وقارئ جيد لأمور الأرضيين؛ إنه رجل الحكمة التي يُعطاها لينطق بها، والذي تجري على يده الآيات والمعجزات التي بها تتجلى قدرة الله فيه. هذا كله كان للرسول بولس، فكان صورةً بهيّةً عن معلّمه إلهي يسوع المسيح^(١).

يُطرح على مُرْسَلِ الرب يسوع أمرُ الرسالة التي كُلِّفَ بتبليغها؛ هكذا هو

الأمر بالنسبة إلى الحثّ على التبشير وعلى ترسيخ العقيدة الإيمانية في النفوس، اللذين يشكّلان الموضوع الرئيسيّ في الرسائل الرعويّة، وهو بالضبط موضوع الفصل الأوّل من الرسالة الأولى إلى تيموتاوس؛ فمهمة هذا الأخير في أفسس هي محاربة العلماء الكذّبة، وتأمين انتصار الإنجيل الحقيقيّ الذي يقوم على الإيمان والرجاء والمحبة^(٢)، واستقامة الضمير والأخلاق (١: ٣-١١). إنّ ظاهرة بولس تجعلنا نتبيّن كيف أنّ رحمة الله تتألّأ في النفوس المؤمنة والوفية والأمانة (١٢-١٧). في هذا التوجّه بالذات يُكمّل تيموتاوس خدمة معلّمه القديس بولس الرسول^(٣).

إنّ ٣ آ من ١ تم ١ هي هامة

الأب أيوب شهوان

أستاذ مادّة الكتاب المقدّس في جامعة الروح القدس - الكسليك

للدخول في الموضوع الذي يحدّد هدف الرسالة، لكنّ مضمونها يمتدّ على كل الفصل الأوّل، وحتى على مجمل الرسالة. لقد مَحَضَ بولسُ سلطته الرسوليّة إلى تلميذه تيموتاوس، ليس فقط لكي يحارب العلماء الكذّبة، بل لكي يعلن، وبطريقة إيجابية، الحقيقة المسيحيّة الجوهرية، وهي أنّ يسوع هو مخلص العالم (رج ٢: ٤؛ ٢: ٤؛ ٢: ٤). فعندما غادر الرسول إلى أفسس، بقي تيموتاوس هناك كموفد منه: "طلبت إليك، وأنا منطلق إلى مكّدونية، أن تمكث في أفسس" (١ تم ١: ٣).

١- موقع آ ٣-٧ ضمن الفصل الأوّل

إذا ما استعرضنا بنية آ ١، تبين لنا

(١) أنظر كلمة "رسول" في معجم اللاهوت الكتابي، دار المشرق، بيروت ١٩٧٤، ص ٣٧٧-٣٨٠؛ كذلك في معجم اللاهوت الكاثوليكي، دار المشرق، بيروت ١٩٨٥، ص ١٤٧-١٤٨.

(٢) الكلمتان -المفتاحان في هذا النص هما "الرجاء" (ἐλπίς) ومشتقاتها، ١: ١، ٤، ٥، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٩، و"المحبة" (ἀγάπη)، آ ٥، ١٤، اللتان تقابلان تنظيراً عقلياً بحثاً.

(٣) أنظر "تيموتاوس" في: بولس الفغالي، المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، بيروت ٢٠٠٣، ص ٣٩١-٣٩٢؛ المؤلّف ذاته، رسالة القديس بولس الأولى إلى تلميذه تيموتاوس، سلسلة محطّات كتابية ٣٠، لبنان ٢٠٠٥.

الأيديولوجية الدينية، من جهة ثانية. هناك دوماً أناس يَهْوُونَ أن يمارسوا هذا الخلط الغريب بين الحقيقة والضلال، معتبرين هذه الأخيرة ذات أهمية كبرى وتنميّاً أو تحميلاً لكلام الله. كذلك، لا يمكن المؤمن أن يكون ضمن تصميم الله الخلاصي إلاّ بالإيمان، وقد تمّ إنشاء المسؤولين التدبيرية والإدارية في الكنيسة بهدف تنشيط المحبة (١ عم ١: ٤-٥). أخيراً، هناك وحدة لا تُحلّ بين الإيمان والمحبة، وبين الفضائل الخلقية؛ وفي الواقع، إنّ القناعة والحياة الدينيّتين متلازمتان (رج مت ٧: ١٦).

٣ - تفسير النص

٣ آ: "كما طلبتُ إليك" (καὶ ὡς σε παρεκάλεσά σε). نقلت بعض الترجمات العربية هذه الجملة بشكل قد يستدعي التدقيق فيها: "طلبتُ إليك" (٥)، "ناشدتك" (٦)، مُهمّلتين كلمة "كما" (καὶ ὡς)، ممّا يؤدي إلى تأثر باقي الترجمة بهذا الحذف؛ نرى بالمقابل ترجمتين أُخريّين بـ "كما" أو بـ "هكذا"؛ ففي حين بدت الترجمة الإنجليزوية RSV (٧) أكثر أمانة للأصل اليوناني، "As I urged you"،

يكشف قدرة نعمة الله الذي يريد أن يُريّ الجميع رحمته. تختتم هذا المقطع مجدلةً قد تكون ذات أصل ليتورجي. (أ) ٢٠-١٨ آ: على خطي بولس، وبالنعمة التي تلقّاها هو بالذات بتدخل أنبياء من الجماعة، يتوجّب على تيموتاوس أن يجاهد الجهاد الحسن.

٢ - هدف تيموتاوس في تبشيره ودور الشريعة (٣ آ-٧)

إذا كان دور تيموتاوس الأول هو محاربة العلماء الذين ينتحلون هذه الصفة، فإنّ تبشيره سيُعِيد الوحدة والسلام إلى نفوس أفراد الجماعة، وسيحقّق بالتالي تنشيط المحبة الأخوية وتفعيلها، وهذا يتطلّب من المؤمن المسيحي صفات خلقية تأمر بها شريعة المسيح الجديدة وتحتّ عليها؛ وإذا فقدت هذه الاستقامة الداخلية، تستعيد الشريعة الموضوع للخطأ سلطانها، ويتعرّض الإيمان للزوال.

منذ الآيات الأولى هذه، تتبيّن لنا جسامّة الشطّط في الإيمان، من جهة، وبُطلان التنظير البحت أو المعرفة أو

أن لآيات ٣-٧ دوراً هاماً في هذا الفصل، من حيث أنها تركّز على جهاد تيموتاوس في إعلان الإنجيل ومواجهته للعلماء الكذّبة، كما نتبيّن من البنية التالية (٤):

٢-١ آ: العنوان

٣ آ-٢٠: الموضوعات الرئيسية في الرسالة

(١) ٣ آ-٥: وصية بولس إلى تيموتاوس.

(٢) ٦ آ-١١: الخصوم هم المعلّمون الكذّبة.

(٣) ١٢ آ-١٧: بولس المعلّم الحقّ.

(٤) ١٨ آ-٢٠: موجز.

وهناك تصميم آخر لهذا الفصل، يعتمد محاور مختلفة، وهو التالي:

٢-١ آ: العنوان

٣ آ-٢٠: تيموتاوس وإعلان الإنجيل

(أ) ٣ آ-١١: جهاد تيموتاوس ضدّ العلماء/المعلّمين الكذّبة. يسيئون الظنّ بـ "تصميم الله" وبدون الشريعة، وبدون مسوّغ، والتي يعتدّون بأنهم الاختصاصيون الأكفاء فيها.

(ب) ١٢ آ-١٧: من خلال مثال بولس، المضطّهد الذي صار رسولاً، يستطيع تيموتاوس أن

(٤) The New Jerome Biblical Commentary, Prentice-Hall, London 1990, p. 896.

(٥) الكسليك = الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيليون، جامعة الروح القدس، الكسليك ١٩٩٢.

(٦) المارونية = الكتاب المقدس، العهد الجديد، الترجمة الليتورجية، منشورات طريق المحبة ٢٠٠٣.

(٧) RSV = The New Oxford Annotated Bible with the Apocrypha; Revised Standard Version, Oxford University Press 1977.

توصي قوماً ألا يعلموا تعليماً مخالفاً" (١ تم ١: ٣ب).

قد يعني الفعل παρεκάλεσα الكثير الاستعمال في الرسائل، "سأل، ترجى، ناشد"، ولكن أيضاً "طلب بالصلاة" (δέομαι)^(١٢)؛ هو أقل زخماً من الفعل διετάσσω الذي يعني "أمر"، كما في تيط ١: ٥، "أمرتك" (διεταξάμην)؛ ولكنه غالباً مرادف للفعل βούλομαι، أي "أراد، تمنى، اشتى"، ويعبر عن متطلبية ما (رج تيط ٢: ٦)^(١٣)؛ وقد يوحي بأن تيموتاوس كان متردداً لأن الظروف لم تكن مؤاتية؛ كان "حَثٌ" بولس إذا يعادل "أمرًا" (٢: ١)، يُعبر عن غرضه بوضوح بالأداة "لكي" (ἵνα)؛ تقوم هذه الرسالة بالتالي بتحديد التعليمات التي كانت قد أعطيت بالصوت الحي وتوسيعها. لم يكن المقصود أقل من مراقبة التعليم الديني في جماعة أفسس، وبالتحديد القيام بفعل ينم عن التمتع بسلطة، (παραγγείλης)، من الفعل παραγγέλλω^(١٤)، "أعطى أمراً"، "أوصى"، "أعطى تعليمات"^(١٥)، ويُننى

توحي بعض الكلمات بفكرة جديدة دون العودة إلى الموضوع الذي في البداية؛ إن صياغات مبتورة وغير مكتملة من هذا النوع هي شائعة في الرسائل.

ولأن بولس كان مقيماً على الأرجح في أفسس^(١٦)، شدد على تيموتاوس، عند رحيله إلى مكدونيا^(١٧)، كي "يمكث" (ترجمة الكسليك) في أفسس "προσμεῖναι ἐν" (Ἐφέσω)، كما يعني الفعل προσμεῖναι، وليس أن "يقيم" (الترجمة المارونية)؛ لدينا الفعل ἐπιμένω الذي يعني "مدد الإقامة" (١ كو ٧: ١٦-٨؛ غل ١: ١٨)، كما يعني الفعل προσμένω: "مدد الإقامة" في مكان ما لدى أحد ما (رج مت ١٥: ٣٢؛ أع ١٨: ١٨)، لكن أيضاً "واظب" على أمر ما، مع بُعد خلقي (أع ١١: ٢٣؛ ١٣: ٤٣)، حاضر هنا في المكوث والصمود في وجه أمر صعب؛ لذلك يحث بولس تيموتاوس على أن "يمكث في أفسس"، مع علمه المسبق بصعوبة المهمة التي سيرد ذكرها مباشرة: "لكي

"كما استحثيتك على"، لدينا خلاف ذلك في ترجمة الآباء الدومنيكان: "Ainsi ... je t'ai prié"^(١٨)، هكذا ناشدتك". العبارة هنا هي شرطية، وينبغي بالتالي أن يكون لها جواب الشرط في عبارة "لكي توصي" (ἵνα παραγγείλης)، أو فصي آ ١٨: تلك توصيتي" (ترجمة الكسليك)، "هذه الوصية" (الترجمة المارونية)، وكل المقطع الذي ما بينهما (١٧-٥) هو كناية عن نص بين قوسين؛ لكن من المفضل أن نرى هنا فصلاً بلاغياً أو تبديلاً مفاجئاً في بناء العبارة، وهو أمر شائع عند بولس الذي يبدأ بإملاء جملة لا تعود العبارات المعترضة المتكررة تسمح بإنهائها؛ إن هذا جزء من أسلوب المحادثة أو الذم^(١٩)، كما نتبين مما يلي: "إن كنت أنت الذي تدعى يهودياً... أما تعلم نفسك؟! يا من تفتخر بالشرعية، أتهين الله بتعديك الشرعية؟!" (رج روم ٢: ١٧-٢٣؛ أنظر أيضاً ٥: ١٢ ي؛ ٩: ٢٢ ي؛ أف ٣: ١٤)، حيث

(٨) BJ = La Bible de Jérusalem, Cerf : Paris 1998.

(٩) A. BRUNO, *Le génie littéraire de St. Paul*, Paris 1955, p. 189.

(١٠) رج أع ١٨: ١٩-١: ١٢ كو ١٥: ٣٢؛ ١٦: ١٦؛ ٢٨: ٢ تم ١: ١٨.

(١١) رج أع ١٩: ٢١-٢٠: ١-١٦ كو ٢: ٥؛ ١٦: ٢؛ ١٣: ٧؛ ١٥: ١١؛ ٩.

(١٢) δέομαι, W. BAUER, *Greek English Lexicon of the NT and Other Early Christian Literature*, The University of Chicago 1979, p. 175.

C. J. BJERKELUND, *Parakalō*, Oslo, 1967, pp. 35sv.

(١٣) τοὺς νεωτέρους ὡσαύτως παρακάλει σωφρονεῖν (Tit 2:6).

παραγγέλλω, W. BAUER, *Greek English Lexicon...*, p. 613.

(١٥) رج مت ١٠: ٥؛ مر ٦: ٨؛ ٨: ٦؛ أع ١٥: ١٥؛ ١٦: ١٨، ٢٣؛ ٢٢: ١ كو ١٧: ١؛ ١١: ٤؛ ٢٨: ٣؛ ١ تم ١: ١٣.

يهودية". استناداً إلى ذلك، يبدو أن "الخرافات والأنساب التي لا آخر لها" (١ تم ١: ٤) تشير إلى روايات وسلالات وهمية لأشخاص من العهد القديم على الطريقة التي يورها كتاب اليوبيلات المعروف أيضاً بالتكوين الصغير^(١٩) أو برويا موسى^(٢٠).

في الواقع، إن كلمة "خرافة" هي نقل للمفردة اليونانية μῦθος^(٢١). في العالم الوثني، كانت الأساطير والأنساب روايات تفسّر أصل الكون والبشرية. مع هذا، قد يكون الكتاب المُلهم يشير إلى تقاليد يهودية معينة؛ في الواقع، هناك تعبير مشابه نجده من جديد في الرسالة إلى تيطس (١: ١٤)، حيث يجري الكلام على "خرافات يهودية" (Ἰουδαϊκοίς μύθοις). تُفهم "الأنساب" (γενεαλογίαι)، عندها، انطلاقاً من الفصول الأولى من سفر التكوين، حيث توجد أنساب الناس الأوائل والآباء. من المرجح أن بولس يريد أن يعارض التفاسير الأليغورية الموضوعة لهذه المقاطع الببليّة، والتي كانت رائجة في بعض الأوساط اليهودية في

بط ٢: ١: ψευδοδιδασκαλοὶ وψευδοπροφῆται، وفي غل ١: ٨-٦: ἕτερον εὐαγγέλιον، وأيضاً في ٢ كو ١١: ٤. ليس بالضرورة أن يكون المقصود تعليمًا مضادًا لتعليم الإنجيل، بل تعليم شيء آخر أو خلافاً لتعليم بولس. لا يمكن أن يكون هناك "تعليم مخالف" إلا إذا كان هناك "نموذج عقيدة" مثبت (روم ٦: ١٧: "رسم التعليم")، أي مضمون موضوعي للإيمان. على تيموتاوس، الذي من المحتمل أن يكون قد عبر لبولس عن رغبته بالأبقى في أفسس، أن يبقى فيها محاربة انتشار عقائد خاطئة، أو ضالة، وعقيمة بالنسبة إلى الحياة المسيحية.

آ ٤: "ولا يميلوا إلى خرافات وأنساب لا آخر لها".

إن إطار النص (رج ١ تم ٧: ١) ومقاطع أخرى موازية في الرسائل الرعوية، خاصة تيط ١: ١٠، ١٤، تُظهر أن التعاليم الضالة كانت تتضمن عنصراً يهودياً قوياً، كما نتبين من تيط ١: ١٤: "غير ميّالين إلى خرافات

عادةً مع صيغة المصدر: "ألا يعلموا تعليمًا مغايرًا" (μη ἑτεροδιδασκαλεῖν) (رج مر ٦: ٨)، مع الأداة "لكي" (ὅτι)؛ فيقال: "أعطى أوامر، توصيات، تعليمات" حازمة (أع ٥: ٢٨؛ ١٦: ٢٣؛ ١٠: ٧). يطلب بولس من تيموتاوس أن يفعل بقوة، وبالتحديد أن "يَكْمُ فم" (تيط ١: ١١) الهراطقة، وإذا اقتضى الأمر أن يحرمهم، كما فعل هو ذاته، وذلك على غرار الطبيب الذي يقطع عضواً زمناً (١ تم ١: ٢٠، ٢٢؛ ٢ تم ١٨: ١٨) عندما يُضطر إلى ذلك. على ما يبدو، لا يتساهل بولس مع المبشرين الذين يتفوهون بالتفاهات: "المجادلات الحمقاء"، μωρὰς ζητήσεις (٢ تم ٢: ٢٣، تيط ٣: ٩). هؤلاء يُقيهم الرسول مغفلين، حسب العادة المتبعة عنده^(٢٢). يمكن كلمة "بعض" (τινές) ألا تُطبّق إلا على بعض الأفراد الذين لا يشكّلون بعدُ فريقاً هاماً^(٢٣).

"تعليم مخالف" (آ ٣)

التعبير اليوناني ἑτεροδιδασκαλεῖν^(٢٤) هو من صياغة الرسول، على مثال الفعل νομοδιδασκαλός، كما في

(١٦) رج ١ تم ٦: ١٩، ١٠: ٦، ٢١: ١ كو ٤: ١٨؛ ٢: ١٠؛ غل ١: ٧؛ فل ١: ١٥.

(١٧) رج، مع ذلك، يو ٦: ٦٤-٦٦ حيث تعني τινές "كثيرين"، πολλοί، ١ كو ١٠: ٧-٨ حيث تعني τινές "الشعب"، λαός.

(١٨) ἑτεροδιδασκαλεῖν, W. BAUER, Greek English Lexicon..., p. 314.

(١٩) رج بولس فغالي (تقديم وتعليق)، كتاب اليوبيلات أو التكوين الصغير، سلسلة على هامش الكتاب، ٥، الرابطة الكتابية، لبنان ٢٠٠٠.

(٢٠) رج "الخرافات والأنساب التي لا نهاية لها" The New Jerome Biblical Commentary, 67: 16, pp. 1058.

(٢١) μῦθος, W. BAUER, Greek English Lexicon..., p. 529: "Legend, myth, fable...; false teaching".

ذاك الزمان؛ كانت تلك التنظيرات تدعى أنها قادرة على إغناء معرفة العالم الإلهي، وبالتالي على المساهمة في خلاص الإنسان.

عندما مرّ بولس في ميليتوس توقع "قيام رجال ينطقون بتعاليم منحرفة (ἀνδρες λαλοῦντες διεστραμμένα) ليحرقوا التلاميذ وراءهم" (١٦: ٢٠؛ ٣٠)؛ وها هم يركّزون ذهنهم على خرافات وأنساب لا آخر لها" (ἀπεράντοις ١ ————— ٤: ١). إن الخرافات والأساطير هي تخیلات، واختلاقات، وروايات من نسج الخيال، وعلى تعارض مباشر مع ما هو حقيقي (٢ تم ٢: ٤؛ ١ بط ١: ١٦). هي تبدو مختلقة، خاصة في معرض التاريخ البيبلي (أنساب، ٣٣٦)، الذي يستعرض حياة الآباء (إبراهيم وإسحق ويعقوب) (٢٢)، مفسرة بطريقة أليغورية أو تيبولوجية متأثرهم وسلوكهم، كما أيضاً روايتي التكوين. لدينا أمثلة عديدة عن هذه الطريقة التفسيرية المزاجية التي تطلق العنان للخيال في الهجاء الرابينية، وفيلون، وفيلون المزعوم، وكتاب

اليوبيلات، كما في قمران حيث نقرأ، على سبيل المثال، ما يلي: "للعقل لكي يتعلم، ويعلم أبناء النور حول طبيعة جميع بني البشر كل أنواع الأرواح التي يمتلكون، مع طبائعها المميزة، أعمالهم بفناتها، والافتقاد الإلهي الذي يصيهم" (٢٣). من المحتمل أن تياراً توفيقياً قد سعى في أفسس إلى التآلف بين المعطيات البيبلية، من جهة، والميتولوجيا والكوسموغونية اليونانية، من جهة ثانية. لا شيء يسمح بأن نُمَهي بين هذا النوع من التنظير وبين التيار الغنوصي (القرن الثاني ب. م.) (٢٤)، كون هذا الأخير لا يسمي الإيونات (éons) "سلالات"، خاصة وأن هذه "الخرافات" هي "يهودية" (تبط ١٤: ١؛ رج ١ تم ٧: ١: يريدون أن يكونوا علماء ناموس)، وإلى أن "السلالات" هي "جدالات تتعلق بالشرية" (تبط ٣: ٩).

يصف الرسول هذا النوع من الزخارف والاختلاقات بأنه "لا آخر له" (ἀπεράντοις، رج أي ٣٦: ٢٦)، يتعذر حلّه، و"دون نتيجة"؛ إن هذه الصفة ἀπεράντοις هي فريدة العهد الجديد (٢٥)؛ في القرن الأول، كان لها

معنى بلاغي وتقني في المصطلحات الرواقية لوصف "الاستدلالات غير البرهانية، والحجج التي لا توصل إلى نتيجة"، والنقاشات التي لا توصل إلى أي شيء. ليس لدى الشرير مقياس ولا نهاية في كلامه، فهو يتكلم دون تمييز، مسبباً الفوضى والارتباك في كل شيء، خالطاً الحق بالباطل، والمقدس بنقيضه، حسب ما نقرأ في تبط ٣: ٩: "لا فائدة منه"، "غير نافع" (ἀνωφελεῖς)، ثمّاً على عكس القول المأثور في ١ كو ٤: ٢٠: "فليس في كلمة (λόγος)، بل في قوة هو ملكوت الله".

يحدّد القسم الثاني من ١ تم ٤: ١ بطلان وأذية هذا النوع من التنظيرات التي ليست سوى سمة لاهوت كاذب، وعلى قدر الإكثار من طرح المسائل، والتدقيق في الفكر، والذهاب بعيداً في البحوث في المجالات الأقل توقّعاً (ἐκζητήσεις) أي "التنظير الذي لا جدوى منه"، تكون النتيجة مجادلات تخلق انشقاقات وفتناً، كما نقرأ في أع ١٥: ٢: "فنشب خلاف وجدال (στάσεως καὶ ζητήσεως) حادان بينهم وبين بولس وبرنابا؛ وفي ١ تم ٦: ٤:

(٢٢) رج أيوب شهوان، "السلالات في سفر التكوين"، في: بولس الفغالي (ناشر)، سفر التكوين تاريخ الخلاص، منشورات الرابطة الكتابية، سلسلة دراسات بيبلي ٢٦، لبنان ٢٠٠٣، ص ١٥٥-١٧١.

(٢٣) نظام الجماعة، ٣: ١٣-١٤، في: بولس الفغالي (تقديم وتعريب)، كتابات قمران، الجزء الأول، سلسلة على هامش الكتاب، ١، الرابطة الكتابية، لبنان ١٩٩٧، ص ٢٨.

(٢٤) حول العلاقة بين التعاليم الزائفة والباطلة، وبين غنوصية القرن الثاني، رج دونالد جوثري، الوسائل الرعوية (تعريب نكلس نسيم)، سلسلة التفسير الحديث للكتاب المقدس، دار الثقافة، القاهرة ١٩٩٤، ص ٣٩-٤١.

(٢٥) DBS, VII, 38.

"مصاب بمرض الجدال والمماحكة" νοσῶν περὶ ζητήσεως καὶ λογομαχίας؛ وفي تيط ٣: ٩: "أما المجادلات الحمقاء، والأنساب، والخصام، والمماحكات في الشريعة فاجتنبها؛ إنها غير نافعة وباطلة"؛ وفي ٢ تم ٢: ٢٣: "أما المجادلات الحمقاء العارية من الأدب فارفضها، عالمًا أنها تلد مباحكات". إن التفسير غير السليم والمماحكات بين المسيحيين هي غريبة عن تصميم حكمة الله الخلاصية، التي ينبغي أن نتبينها في الكتاب المقدس، وأن نجتهد في تحقيقها في الممارسة.

آ ٤ ب: "تدبير" (οἰκονομία)
تعني عبارة "تدبير الله" تصميمه الأبدي للخلاص، وتحقيق هذا التصميم في تاريخ الإنسان استنادًا إلى الإيمان^(٢٦). تمثل كلمة οἰκονομία أولاً تهيئة مسكن ما، وبنوع خاص تأمين ما هو ضروري لأفراد هذا المسكن^(٢٧). في العهد الجديد تشير هذه المفردة إما إلى تصميم الله الخلاصي، الذي يندرج في تطور البشرية الديني: "تدبيراً لملء الأزمنة"

(أف ١: ١٠)؛ "تدبير السرّ المكتوم منذ الدهور في الله" (٩: ٣)؛ وإما إلى الإدارة التي تُوكل إلى أناس يُعتبرون عاملين على تحقيق هذا الخلاص: "أنا مؤتمن على وكالة" (١ كو ٩: ١٧)؛ "تدبير نعمة الله التي وهبت لي في سبيلكم" (أف ٣: ٢)؛ "وقد صرت أنا لها خادماً وفق تدبير الله، الذي وهب لي في سبيلكم" (كول ١: ٢٥). إنه بالأحرى المعنى الثاني الذي يَغلبُ هنا^(٢٨). وتعني كلمة οἰκονομία "السلطة الحاكمة"، في أش ٣٢: ٢١، حيث توازي الكلمة العبرية ממשלה، والتي تُنقل إلى اليونانية في ٢ أخ ٣٢: ٩ بكلمة στρατια، وفي إر ٣٤: ١ ومي ٤: ١ بكلمة ἀρχή، وفي ٢ مل ٢٠: ١٣ (= إش ٣٤: ٢) بكلمة ἐξουσία؛ ولدينا كلمة "ملكوت"، في مخطوط قمران، في أش ٣٤: ٢.

في هذين النصين الأخيرين، يُري حزقيا كل ما كان في "بيته"، وفي مملكته كلها، و"تحت سيادته"؛ إن هذا المفهوم هو هنا مناسب جيداً، خاصة إذا ما قارنا "سيادة" (ἐξουσία) الله، التي يشكل إسرائيل جزءاً منها (مز ١١٤: ٢،

ἐξουσία؛ رج سي ١٠: ٤)، مع كل مواقع سيادته (١٠٣: ٤؛ رج ١٤٥: ١٣؛ بموازة מלכות). أخيراً ينصح سي ٧: ٤ بعدم طلب "السيادة" (ἐγemonía, ἡγεμονία) من الله^(٢٩)، بل يوضح أن "سلطة" (ἐγemonía، موازية لـ "نظام") الفهم ستسوي جيداً (١٠: ١)؛ "فهم إذّاك أن علماء السلالات لا يمارسون خدمة مطابقة لوضعيّة "سلطة" تأتي من الله (يدلّ المضاف "الله" على أصل هذه "الإدارة" وملكيّتها)، وهي تربية المؤمنين بهدف الحصول على الخلاص. لا يرتكز "الخلاص" (σωτηρία) على خطب واحتفالات، بل على قبول الإيمان: "فما أنّ العالم بحكمته ما عرف الله بحسب حكمة الله، رضي الله أن يخلّص بحماقة البشارة الذين يؤمنون" (١ كو ١: ٢١)؛ إن لأداة التعريف τῆν اليونانية هنا دور ضمير الإشارة، وتعطي لهذه الكلمات الأخيرة نوعاً من البَدَل: يقوم في وجه البحوث والمجادلات الكلامية هذا (τῆν) "التدبير" الذي لا يصبح فاعلاً إلا بفضل "الإيمان" (πίστις)؛ وكون المبشر موزّع أسرار الله^(٣٠)، يُحرّم عليه أن يستبدلها بابتداعاته الشخصية أو أن يضيف عليها.

(٢٦) رج كلمة "تدبير" في معجم اللاهوت الكاثوليكي، ص ٧٠-٧١. أنظر أيضاً عبارة "قصد الله" في معجم اللاهوت الكتابي، ص ٦٢٧.

(٢٧) "οἰκονομία", W. BAUER, *Greek English Lexicon*..., p. 559-560.

(٢٨) J. REUMANN, "οἰκονομία - Terms in Paul in Comparison with Lucan Heilsgeschichte", *NTS* XIII (1967) 151sv.

(٢٩) "لا تلتمس من الرب رئاسة، ولا من الملك كرسيّ المجد" (سي ٧: ٤).

(٣٠) "القاضي الحكيم يؤدب شعبه، وتدبير العاقل يكون مرتباً" (سي ١٠: ١).

(٣١) "فليحسبنا أي إنسان مثل خدام المسيح ووكلاء أسرار الله" (١ كو ٤: ١).

٥ آ: "إن غاية هذه التوصية المحبة"

إن هدف التبشير المسيحي، الذي يُشار إليه هنا وكأنه مهمة، هو نمو المحبة في قلوب المؤمنين، كما نقرأ في روم ١٣: ١٠: "المحبة هي ملء الشريعة" (رج ١ كو ١٣: ٤-٧؛ مت ٢٢: ٤٠)؛ تنتج هذه المحبة عن الإيمان، والإيمان يُعبر عن ذاته في المحبة، كما جاء في غل ٥: ٦: "إيمان يعمل بمحبة" (٣٢). "الضمير الصالح" و"الضمير النقي" هما تعبيران مُميزان في الرسائل الرعوية. تربط "التوصية" (παράγγελια)، التي تذكر بالفعل "وصى" في آ ٣ (παράγγελος) (٣٣)، كلمات هذا الإعلان، أي "إن غاية هذه التوصية المحبة"، بوظيفة تيموتاوس بالذات، التي لا تشكل مقاومة العقائد الخطيرة سوى ناحية جزئية منها؛ إن الأمر الأهم الذي ينبغي بلوغه، والذي يجب أن يبقى أبداً ماثلاً أمام الناظرين، هو "المحبة" (ἀγάπη). مما لا شك فيه هو أن التنظيمات الفضولية تولد المماحكات،

"أما" الإيمان المسيحي فيحرك المحبة؛ كذلك تلعب "التوصية" (παράγγελια) دوراً في "التدبير" الإلهي الذي يؤدي إلى بسط ملك المحبة (٣٤) الذي سيتم التشديد عليه في ١ تم، و ٢ تم، وتبط.

تعبر كلمة "غاية" (τέλος) عن البلوغ، وعن النتيجة المتجانسة مع التحضيرات التي تُكرّس لها (روم ٢١: ٢٤ كو ١١: ١٥؛ فل ٣: ١٩)، مع تلميح إلى النجاح (يع ٥: ١١)، والتتميم (يو ١٣: ١؛ روم ١٠: ٤)، كما نقرأ في ١ بط ١: ٩: "غاية الإيمان خلاص النفوس". ليس المقصود نية تيموتاوس بل هدف خدمته بالذات. وفي حين كان العهد القديم يوجز الحياة الدينية بالأمانة التي تحركها مخافة الله (٣٥)، فإن العهد الجديد يعلم أنه من "المحبة" تأتي الشريعة والأنبياء (٣٦)، وتنتج الحياة الأبدية (لو ١٠: ٢٥-٢٨).

لقد أخذت المسيحية كلمة "محبة" (ἀγάπη) عن السبعينية، وأغنت معناها بأمثلة الابن الحبيب يسوع

وبتعليمه (٣٧). إنها محبة تُلَقِّ واحترام، وهي الأكثر شمولية في موضوعاتها (مت ٥: ٤٤)، والمتجردة، والسخية، والديناميكية، والبيئة إلى حد أنه من خلالها يمكن التعرف إلى تلاميذ يسوع المسيح (يو ١٣: ٣٥)؛ هؤلاء هم مجموعون في الكنيسة كي يعيشوا قديسين وبلا عيب في المحبة (أف ١: ٤؛ ٥: ٦؛ ١: ٢٤)، التي هي القيمة الوحيدة الخلاصية (١ كو ١٣: ٢؛ ١٦: ١٣). إن التشديد هنا هو على بُعد المحبة الإنجازي، مقابل كلام التنظير العقيم (رج ١ كو ٨: ١: "المحبة تبني")، والمحبة الأخوية مقابل الجدالات والمماحكات (٣٨)، خاصة وأن هذه المحبة الأخوية تُفضي بالضرورة إلى عبادة الله (٤٠).

إذا كانت المحبة هي جوهر الإنجيل، وإذا كانت هي الحياة المسيحية بكلّيتها، فإن الرسل قد اعتنوا بأن يميزوها عن المحبة البشرية البحتة، وعن شعور عابر ليس إلا (٤١).

(٣٢) أيوب شهوان، "نشيد المحبة (١ كو ١٣)"، مجلة بيبليا، ٤ (١٩٩٩) ٣٩-٢٩. أنظر غل ٦: ١٥؛ ١ كو ٧: ١٩؛ ١٣: ١٣؛ يع ٢: ١٤، ٢٢.

(٣٣) قارن مع "وصية الله" في: أيوب شهوان، "وصية الله في مرقس"، في: مجموعة محاضرين، الإنجيل بحسب مرقس، سلسلة دراسات بيبلية ٣٣، الرابطة الكتابية، لبنان ٢٠٠٧، ص ٣٤٣-٣٥٨.

(٣٤) "يا سمعان، أحبني؟" (يو ١٥: ١٧)؛ رج ١ تم ١: ١٤؛ ٢: ١٥؛ ٤: ١٢؛ ٦: ١١؛ ٢: ٢؛ ٢ تم ١: ٧؛ ١٣: ٢؛ ٢٢: ٣؛ ١٠: ٤؛ ١٠: ٨.

(٣٥) "أتق الله واحفظ وصاياه، فإن هذا هو الإنسان كله" (جا ١٢: ١٣).

(٣٦) أنظر مت ٢٢: ٣٤-٤٠؛ مر ١٢: ٢٨-٣٤؛ روم ١٣: ٨، ١٠.

(٣٧) أنظر ١ يو ٣: ١٦؛ ٤: ٩، ١٦.

(٣٨) C. SPICQ, *Les composantes de la notion d'agapé dans le NT*, Sacra Pagina, Paris 1959, pp. 440-455.

(٣٩) أنظر أع ٢: ٤٤؛ ٤: ٣٢؛ أف ٤: ٢-٦، ١٥-١٦؛ فل ٢: ٢؛ كول ٣: ١٢-١٥.

(٤٠) أنظر ١ يو ٤: ٢١؛ ٥: ٢١؛ ٢ يو ٥-٦.

(٤١) أنظر يع ٢: ١٥-١٦؛ روم ١٢: ٩؛ ١٤: ١٥-١٩؛ ١ يو ٣: ١٧-١٨؛ ١ بط ١: ٢٢.

وعاملاً بالحبّة، "لأنّ محبة الله أفيضت في قلوبنا بالروح القدس الذي وهب لنا" (روم ٥: ٥)؛ بهذا المعنى يقول القديس بطرس: "أحبوا بعضكم بعضاً بالقلب حباً مستمراً، وقد طهّرتم أنفسكم بالطاعة للحق، من أجل محبة أخوية لا رياء فيها" (١ بط ١: ٢٢)، كما علّم ربنا وأوصى: "أحب الرب إلهك بكل قلبك، وكل نفسك، وكل فكرك" (مت ٢٢: ٣٧).

- "الضمير"، συνείδησις -

يشكل "الضمير" جزءاً من "القلب"، كما جاء في عب ١٠: ٢٢: "فلنقبل بقلب صادق في ملء يقين الإيمان، وقلوبنا مطهرة من كل ضمير خبيث (πονηρας)، وأجسادنا مغسولة بماء طاهر" (رج ٩: ١: "فكم أخرى بدم المسيح... أن يطهر ضميرنا من أعمال ميتة، لنعبد إلهاً حياً"، ويأخذ غالباً مكانه في رسائل بولس، ليقوم بوظائف مختلفة جداً^(٤٦)؛ ولكون الضمير عنصراً مكوناً للشخصية الأدبية المسؤولة، فإنه في آن معاً تفحص للذات، وتقيم للقيم، والتزام بما يتوجب. بالجملة، إنه المعنى الخلفي الذي يميز الخير والشر ويقيّمهما (١ كو

"رث"، وفي ١ بط ٣: ٢١ "قذر". أما إيجابياً، فإن كلمة "طاهر" هي قريبة من كلمة "صدق" (εὐλκρινεία)، كما في ١ كو ٥: ٨ (رج ٢ كو ١: ١٢؛ ٢: ١٧)؛ وفي ٢ بط ٣: ١ لدينا عبارة "الفكر الصافي" (εὐλκρινής διάνοιαν)، وفي فل ١: ١٠ "أنقياء"، لأن الذي يكون نقياً خلقياً هو صادق.

على الصعيد الروحي ينتج التطهر من الخطايا (عب ١: ٣، "أتم تطهير الخطايا") عن غسل أو استحمام (أف ٥: ٢٦: "وقد طهرها بغسل الماء والكلمة"؛ عب ١٠: ٢٢: "وأجسادنا مغسولة بماء طاهر")؛ يحض فعل "اغتسلتم" (ἀπολούω) في ١ كو ٦: ١١ من يستفيد منه صفة دينية، كون عابدي الله وخادميه هم بالضرورة "أطهار"^(٤٧). تُنسب هذه الصفة إلى القلب، وفق تطوية مت ٥: ٨ (رج ٢ تم ٢: ٢٢)، وترتبط بالاستقامة والبراءة^(٤٨). فاستناداً إلى المفهوم البيبلي، القلب هو مكان الحياة الخلقية والدينية؛ في الواقع، ترتبط قيمة الأفكار والمشاعر والأفعال بالحالات الأعمق وبالنوايا^(٤٩)، لذلك فهو يولد من جديد ويتطهر بالإيمان (أع ١٥: ٩؛ رج تيط ٢: ١٤)، ويصبح حافظاً للوصية

ولأنّ "المحبة" (ἀγάπη) هي أساساً إلهية^(٥٠)، فإنها مقدسة جداً وبلا عيب (أف ١: ٤؛ ٥: ٢٧؛ يع ١: ٢٧). وتشدد خاتمة آ ٥، من جهة أولى، على الطهارة، ومن جهة ثانية، على ما هو داخلي المصدر ("من"، ἐκ)، بدءاً بالعام بلوغاً إلى الخاص، أي "المحبة من قلب طاهر، و(من) ضمير صالح، و(من) إيمان لا رياء فيه". وفي حين يركّز يوحنا أصالة المحبة على حفظ الوصايا، تشدد الرسائل الرعوية على استقامة ملكات الإنسان الثلاث "المخبوءة"، كما جاء في ١ بط ٣: ٤: "الإنسان الخفي، إنسان القلب، بما هو منزّه عن الفساد، بروح وديع وهادي: ذاك هو النفيس عند الله" (رج مت ٦: ٤، ٦، ١٨).

- "طاهر"، καθαρὸς -

سلبياً، تعني المفردة ما هو نقيض "موصوم"، "ملوث" (تيط ١: ١٥؛ رج يو ١٣: ١٠)، و"نجس"، كما نقرأ في ٢ بط ٢: ٢٠: "فالذين يتملصون من نجاسات (μίανσμα) العالم بمعرفتهم لربنا...؟" وفي ٢ كو ٧: ١: "فلنطهر أنفسنا من كل وصمة جسد وروح" (ἀπὸ παντὸς μολυσμοῦ)؛ ولدنيا في يع ٢: ٢ كلمة

(٤٢) رج روم ٥: ٥؛ غل ٥: ٢٢؛ ١ يو ٤: ٧-٨.

(٤٣) أنظر ٢ تم ١: ٣؛ ٢: ٢٢؛ ١ تم ٣: ٩؛ عب ٩: ٢٣؛ ١٠: ٢؛ رج يع ١: ٢٧ الذي يتكلم على "تدين طاهر نقي".

(٤٤) رج تلك ٢٠: ٥-٦؛ مز ٤٤: ٤؛ ٥١: ٥٢؛ أي ١١: ١٣.

(٤٥) أنظر ١ صم ١٦: ٧؛ أم ٤: ٢٣؛ مت ١٢: ٣٤؛ ١٥: ١٩.

(٤٦) Idem, *Théo NT*, II, pp. 602 sv.

بالحديد المحمي علامة محقرة ومميزة للمجرمين والعبيد والجنود الجبناء، وذلك بهدف تسهيل القبض عليهم؛ فهو لاء المراءون ضمائرهم ضمائر أناس مجرمين. هناك كلام مكمل في ١ كو ٨: ٧: "يتلوّث (μολύνεται) ضميرهم لأنه ضعيف"؛ رج عب ١٠: ٢٢: "قلوبنا مطهرة من كل ضمير خبيث" (πονηρά). إن أصحاب الضمائر الفاسدة هم عاجزون عن القيام بأي عمل صالح لأن "عقلهم وضميرهم منجّسان" (تيط ١: ١٥)، بينما المؤمنون يتميزون بضمير طاهر لا لوم عليه (καθάρὰ)، كما في ١ تم ٣: ٩؛ ٢ تم ١: ٣؛ رج ١ كو ٤: ٤)، وضمير صالح وحسن (καλῇ)، وتام في استقامته (ἀγαθῇ)، ١ تم ١: ٥؛ ١٩؛ ٢٣: ١؛ ١ بط ٣: ١٦). هذا يعني أن موضوع الضمير ومجاليه يتلاقيان على مستوى السلوك العملي مع موضوع المحبة ومجالها؛ هذان الاثنان لا يطبقان الشر، ويلتصقان بالخير (روم ١٢: ٩)، ووحده ضمير المحب قادر على أن يحدد استعمال الحرية وفق ما تتطلبه المحبة (١ كو ٨: ١-١٣؛ رج روم ١٤: ١-٢٣) (٥١)

يحكم الضمير التصرف الملموس لدى الإنسان؛ نقرأ في أع ٢٣: ١ كلاماً حازماً لبولس في هذا السياق، حيث يقول: "لقد سلكت أمام الله بكل ضمير نقي حتى هذا اليوم". وفي ٢٤: ١٦ يقول: "ولهذا أجاهد نفسي لأنعم دائماً بضمير سليم عند الله والبشر"؛ وفي ٢ كو ١: ١٢ يضيف: "فإن فخرنا شهادة ضميرنا"، وهناك قول مماثل في عب ١٣: ١٨: "إنّا لو أثقون أن ضميرنا صالح". إن لهذه التوجيهات دافعاً فائق الطبيعة، مصدره أنوار الإيمان (٥٠)، التي تضمن استقامتها. يقول القديس بولس: "لقد سلكت أمام الله" (أع ٢٣: ١؛ ٢ كو ٤: ٢)، "بنعمة من الله" (٢ كو ١: ١٢؛ رج روم ٩: ١)، "وضميري شاهد لي في الروح القدس". ليس المقصود فقط الحكمة والفهم الروحيين اللذين يسعيان إلى إرضاء الله (كول ١: ١٠؛ ١ بط ٢: ١٩)، بل التمسك بالتزامات الإيمان العمادي (١ بط ٣: ٢١؛ عب ١٠: ٢٢)، والعيش في حياة دينية (روم ١٢: ٢) لعابد حقيقي لله (٢ تم ١: ٣؛ رج عب ٩: ٩). إن الدجالين هم إذاً "مكويون في ضمائرهم" (١ تم ٤: ٢)؛ كان الكي

١: ٢٥، ٢٧)، ويصدر أحكاماً، ويوافق، ويشجب؛ لذا يقول بولس في روم ٢: ١٥: "هم يبرهنون أن عمل الشريعة مكتوب في قلوبهم، وضميرهم شاهد" (٤٧). ولدينا قول مأثور لدى فيلون الإسكندري في هذا المجال، وهو التالي: "الضمير هو قاضي معارك الحياة وحكّمها" (٤٨)، و"المحكمة الوحيدة في العالم التي لا تنخدع بمصطنع الخطابات" (٤٩). وبشكل أعمق، الضمير هو ينبوع الواجب خارج توصية شرعية، كما يعلم بولس في روم ١٣: ٥: "لذلك من الضروري الخضوع، لا من أجل الغضب فحسب، بل أيضاً من أجل الضمير"؛ إن خضوع المسيحي لا يكون بدافع الخوف من العقاب، بل بدافع من الضمير المدرك والواعي والمسؤول. ويقول بطرس الرسول: "إخضعوا كرامة للرب لكل نظام بشري" (١ بط ٢: ١٣)، اقتداءً بالمسيح خادماً الله "المتواضع والمتألّم" (١ بط ٢: ٢١-٢٤)؛ ويكمل في آ ١٩: "فإنها لنعمة أن يحتمل أحد أحزاناً، فيتألم مظلوماً، من أجل ضمير خاضع لله".

(٤٧) نقرأ في وصية رأوبين ٤: ٣: "وحتى الآن يضايقني تذكّر خطيئتي" (رج بولس الفغالي، وصيات الآباء الاثني عشر، سلسلة على هامش الكتاب، ٤،

الرابطه الكتابية، لبنان ٢٠٠٠).

(٤٨) Philon, *Quod deter.* 23; Spec. leg. II, 49.

(٤٩) Idem, *Virt.* 206.

(٥٠) أنظر ١ تم ١٩: ٣؛ ٩؛ رج مت ٦: ٢٢: "النور الذي فيك..."

(٥١) C. SPICQ, "La conscience dans le NT", *RB* (1938) 50-80; J. DUPONT, "Syneidesis", *Studia Hellenistica*, Louvain V (1948) 119-

153; C.A. PIERCE, *Conscience in the NT*, London 1955, pp. 91sv; M.E. THRALL, «The Pauline Use of συνείδησις», *NTS* XIV (1967) 118-125.

بالنتيجة، من المستحيل أن يحب المرء الله والقريب إذا كان ضميره ملطخاً بالخطيئة أو بالنوايا الفاسدة.

- "لا رياء فيه"، ἀνυπόκριτος

تعني الكلمة ἀνυπόκριτος غير أهل لأن يلعب (دوراً) على المسرح، وتتضمن تنديداً بالطلاق بين ما يقال وبين ما يفكر، بين ما هو عليه إنسان ما وبين ما يفعله. فلقد ندّد الرب يسوع بمن يخادع قائلاً: "إحذروا أولاً خمير الفريسيين، إحذروا الرياء" (لو ١٢: ١). ويصف رسله القديسون الحكمة^(٥٢) والمحبة^(٥٣)، بأنّهما "دون رياء": "لنُحِبَّ... بالحق" (ἀγαπᾶν... ἐν... ἀληθείᾳ رج ١ يو ٣: ١٨).

في ١ تم ١: ٥، الإيمان الذي "بلا رياء" هو بالتأكيد الإيمان الذي يترجم الاعتراف به علناً، أي بالكلمة وبالأعمال، إنسجام القلب وقناعات الروح (رج روم ١٠: ١٠). وحده البار يحيا إيمانه ومن إيمانه (رج غل ٢: ٢٠)؛ بالمقابل، يتميز الهراطقة بمظاهر دينية لا تتجانس مع ما هو حق (١ تي ١: ١٦؛ ٢ تم ٨: ٣)، وهذا النقص في الاستقامة

الصميمة - الأكثر وضوحاً من استعدادات قلبهم ومن لطخات ضميرهم - يجعلهم غير أهل لمحبة أصلية، محبة الله والمسيح، التي يبثها الروح القدس في نفس المؤمن المستقيم والأمين. في مقابل الأوصاف الثلاثة هناك فساد العقل (νοῦς، ١ تم ٦: ٥)، واكتواء الضمير (συνείδησις، ٤: ٢)، وعدم أهلية الإيمان (πίστις، ٢ تم ٣: ٨).

٦ أ: "وقد زاغ عن ذلك قوم فعدلوا إلى

كلام باطل"

إن الذين، كهومناوس وفيلاتوس (رج ٢ تم ١٧-١٨؛ ١ تم ٦: ٢١)، لا يأخذون الاستقامة وطهارة القلب والضمير والإيمان للبلوغ إلى هذه "الغاية" التي هي المحبة، ينحرفون ولا يصلون إلى الهدف؛ هذا هو معنى الفعل "زاغ" (ἀστοχεῖν، ٦ أ)، المرتبط بكلمة "غاية" (τέλος، ٥ أ)، والذي يوحي بالانحراف وبالاتجاه السيء، بالفشل وبالإخلال بالواجب، ويناسب جداً سلوك الهراطوقي؛ فمن جهة أولى، هو يضلّ ويتعد عن أقوال الحكماء، فتكون له "المعرفة المزيفة التي أخذ بها

قوم فزاغوا عن الإيمان" (رج سي ٨: ٩)، وعن الحقيقة (مثل "هومنايوس وفيلاتوس اللذين زاغاً عن الحق"، ٢ تم ١٧-١٨)؛ من ناحية ثانية، انحرافه هو تصاعدي؛ فالانطلاق في الإيمان الحق هو جيد، وقد تكون حتى النية الأساسية سليمة، ولكن كلما انبهر العالم بابتداعاته الخاصة، يصبح ذهنه مغشّى، فيتبدل أو يتقلص، كمسافر يترك الطريق القويم ليسلك طريقاً ملتوياً، أو يعود إلى الورا، أو يسلك آخر لا يوصل إلى المكان المقصود؛ من هنا الفعل ἐκτρέπω، "غير الاتجاه، عدّل"، الذي يعبر عن الانحراف، والذي كان، على ما يبدو، تعبيراً تقنياً في المجال الخلقي للكلام على الابتعاد عن "الطريق المستقيم" والشروء عنه، أي عن طريق الرب (تركوا السبيل السوي فضلوا، واتبعوا سبيل بلعام، ٢ بط ٢: ١٥)^(٥٤)، وعن البر^(٥٥)، وعن المحبة^(٥٦).

يوصم الاتجاه الضال الذي يعتمد عليه الهراطقة بالتعبير الأكثر تحقيراً لمعلم في العلوم المقدسة، ألا وهو الاتجاه "إلى كلام باطل" (εἰς ματαιολογίαν)^(٥٧) حيث الخطابات والكلمات فارغة،

(٥٢) رج يع ٣: ١٧؛ رج حك ٥: ١٨؛ ١٦: ١٦.

(٥٣) رج روم ١٢: ٩؛ ٢ كو ٦: ١؛ ١ بط ١: ٢٢.

(٥٤) رج يع ٥: ٢٠: "من رد خاطئاً عن ضلاله...".

(٥٥) أنظر مت ٢١: ٣٢: "فقد جاءكم يوحنا يسلك سبيل البر"؛ ١٦: ١٦: "عهدناك صادقاً تعلم بالصدق ما طريق الله"؛ يو ١٤: ٦: "أنا الطريق والحق والحياة"؛ أع ١٦: ١٧: "وكانت تتأثر بولس وتتأثرنا، وهي تصيح: هؤلاء الناس عبيد الله العلي، وهم يشرونكم بطريق الخلاص".

(٥٦) رج ١ كو ١٢: ٣١: "وإني لكم طريقاً أفضل"؛ راجع استعمالاتها الأربعة في الرسائل الرعوية: ١ تم ٥: ١٥؛ ٦: ٢٠؛ ٢ تم ٤: ٤؛ لا استعمال آخر لها في الكتاب المقدس، باستثناء عا ٥: ٨؛ عب ١٢: ١٣.

(٥٧) رج ١ تم ١: ١٠: "وأي شيء آخر يخالف التعليم السليم"؛ ٣: ٩: "مالكين سر الإيمان"؛ التعبيران ματαιός و ματαιος هما بشكل خاص مرغوبان من قبل بولس.

διαβεβαιούνται (٧٧) ^(٦٤). إن هذا يعني التأكيد بمضء، دون تمييز، وبشكل تحقيري، بسبب نقص البراهين، وبهدف فرض ذلك على السذج. من المعلوم أنها خطيئة التفوه بأقوال باطلة (ματαιολογία) لا تعني شيئاً، وأنها سوء التقرير في أمور يجهلها المرء، والتنظير العقائدي فيها، كما يعلم بولس تلميذه تيموتاوس، موصياً إياه قائلاً: "تجنب الكلمات الفارغة المدنسة، ومتناقضات المعرفة المزيفة" (١٦: ٢٠). إنه عيب الخطيب المتصنع. كان لحكماء إسرائيل متطلبات تقضي بفهم ما يريدون قوله؛ فأليهو يعيب على أيوب أنه "يفتح فمه في الفراغ، وبسبب قلة المعرفة يضاعف الكلمات" (أي ٣٥: ١٦)؛ إنها "كلمات خالية من العلم" (٢: ٣٦).

خاتمة

وجه القديس بولس تعاليمه وتوجيهاته إلى تلميذه تيموتاوس،

في الملفة، كما كان يفعل المتهودون في غلاطية: "يريدون أن تختنوا حتى يفتخروا بجسدكم" (غل ٦: ١٣). لا يطمح هؤلاء "العملة الأردياء" (فل ٣: ٢) إلى أقل من وظيفة "رأبي"، وإلى أن يُعترف بهم، وأن تُؤدى لهم التحية باعتبارهم "معلمي الشريعة"، وهو اللقب العلمي الأسمى لدى اليهود ^(٦١)، الذي يُثبت اختصاص مفسري التوراة، "وأن يدعوا: يا معلمي" (مت ٢٣: ٧). فالقديس بولس يؤتب هؤلاء المعلمين المزيّفين على عدم كفاءتهم: إنهم أغبياء وجهال، لأنهم "لا يدركون ما يقولون ولا ما يؤكدون" ^(٦٢). إن لمصدر الفعل νοέω بصيغة الحاضر، νοοῦντες (١٦: ٧)، الذي يعني "أدرك، فهم، كان حكيمًا وذا عقل سليم"، قيمة اعتراضية، ويرز التعارض بين مقاصد مدعي المعرفة وبين عدم كفاية وسائلهم ^(٦٣)؛ فهم لا يفهمون ولا حتى معنى الكلمات والجمل التي يتفوهون بها ("ما يقولونه"، λέγουσιν، ٧٧)، ولا الحقائق المقدسة التي يعالجونها بثقة بالنفس العالية ("يؤكدون"،

والجمل دون مضمون، والثرثرة بالطبع باطلة. هذا الانحطاط الديني لثقافة عقلية بحثة هو ثابت ^(٥٨)؛ ليست الرسالة الإنجيلية فلسفة عقلية، بل وحي إلهي لا يتغير، لا يتساهل لا مع "تأويل" شخصي للعالم ^(٥٩)، ولا مع زخرفة أدب ^(٦٠).

٧ أ خطيئة عدم الكفاءة

يُسيء المعلمون الكذبة فهم الطبيعة الحقيقية للشريعة القديمة؛ يدعوههم بولس "معلمي الشريعة" (νομοδιδάσκαλοι)، يريد بذلك حصرًا الكاتب الذي يمتحن هذا العمل، كما في لو ٥: ١٧، "علماء بالتوراة"، وفي أع ٥: ٣٤: "جمليل هو عالم بالتوراة". لكن الواقع يبرز أنهم لم يكونوا دائماً ذوي كفاءة في هذا المجال، فيصبحون بالتالي سبب ضياع وضلال لكثيرين.

إن أحد أكبر أسباب ضلالات البلاغيين والدعائيين هو السعي إلى سحر الآخرين وإلى اكتساب الجحد، وببساطة أكبر، إلى حكمة أو رغبة شديدة

(٥٨) رج روم ١: ٢١: "تاهوا في بطل أفكارهم، وصاروا، من غباوة قلوبهم، في ظلمة"؛ ١ كو ٣: ٢٠: "إن الرب يعلم أفكار الحكماء إنها باطلة"؛ "لا سلكتم بعد كما يسلك الأمم في باطل عقلهم".

(٥٩) أنظر ٢ بط ١: ٢٠: "ما من نبوة في الكتاب تكون من تفسير خاص".

(٦٠) رج كلمة κενοφωνία، "فارغ": "تجنب الكلمات الفارغة"؛ ١ تم ٦: ٢٠ // ٢ تم ٢: ١٦: "أما الكلمات الفارغة المدنسة فاجتنبها".

(٦١) أنظر أع ٥: ٣٤؛ رج يو ٣: ١٠: "أنت معلم إسرائيل وتجهل هذا؟".

(٦٢) لاحظ استعمال أدوات النفي في ١ تم ١: ٧: μητε، μητε، μη.

(٦٣) "νοέω"، W. BAUER, *Greek English Lexicon*..., p. 540: "Relative clause as object".

(٦٤) تيط ٣: ٨: "أريد أن تؤكد هذه الأمور تأكيداً، διαβεβαιουσθαι".

محذراً إياهم من المعلمين الكذبة الذين أنّ التعليم الرسوليّ هو الحكمة الحقّة بالتالي الكنيسة وأبناءها من الشرير يعلمون الشريعة وخرافات اليهود، والكاملة، الذي يختزن المعرفة الحقّة، وشروعه، ليبقوا على الأمانة، وأنساباً لا آخر لها، الخ، ومشدداً على ويحفظ الإيمان الصحيح، ويحمي ويواصلوا نوحهم وتقدمهم في القداسة.

المراجع

- جوثرى دونالد، الرسائل الرعوية (تعريب نكلس نسيم)، سلسلة التفسير الحديث للكتاب المقدس، دار الثقافة، القاهرة ١٩٩٤.
- أيوب شهوان، "السلالات في سفر التكوين"، في: بولس الفغالي، سفر التكوين تاريخ الخلاص، منشورات الرابطة الكتابية، سلسلة دراسات ببليية ٢٦، لبنان ٢٠٠٣، ص ١٥٥-١٧١.
- فغالي (ال) بولس (تقديم وتعريب)، كتابات قمران، الجزء الأول، سلسلة على هامش الكتاب، ١، الرابطة الكتابية، لبنان ١٩٩٧.
- فغالي (ال) بولس (تقديم وتعريب)، كتاب البويعلات أو التكوين الصغير، سلسلة على هامش الكتاب، ٥، الرابطة الكتابية، لبنان ٢٠٠٠.
- _____، اخطط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، بيروت ٢٠٠٣.
- _____، رسالة القديس بولس الأولى إلى تلميذه تيموتاوس، سلسلة محطات كتابية ٣٠، لبنان ٢٠٠٥.
- كتاب (ال) المقدس، العهد الجديد، إنجيليون، جامعة الروح القدس، الكسليك ١٩٩٢.
- كتاب (ال) المقدس، العهد الجديد، الترجمة الليتورجية، منشورات طريق المحبة ٢٠٠٣.
- معجم اللاهوت الكتابي، دار المشرق، بيروت ١٩٧٤.
- معجم اللاهوت الكاثوليكي، دار المشرق، بيروت ١٩٨٥.

AAVV, *Le Ministre et les ministères*, Seuil, Paris, 1974.

Bible (La) de Jérusalem, Cerf : Paris 1998.

BRUNO A., *Le génie littéraire de St. Paul*, Paris 1955.

DE LESTAPIS S., *L'énigme des Pastorales*, Gabalda, Paris 1976.

DORNIER P., *Les épîtres pastorales*, coll. Sources bibliques, Gabalda, Paris 1969.

LOHSE Eduard, *Colossians and Philemon: A Commentary on the Epistles*, Hermeneia, Philadelphia: Fortress Press, 1971.

New (The) Jerome Biblical Commentary, Prentice-Hall, London 1990.

New (The) Oxford Annotated Bible with the Apocrypha. Revised Standard Version, Oxford University Press 1977.

QUINN Jerome D., *The First and Second Letters to Timothy*, Anchor Bible 35A, New York: Doubleday, 1995.

QUINN Jerome D. & WACKER William C., *The First and Second Letters to Timothy*, Eerdmans Critical Commentary, Grand Rapids, MI: Wm. B. Eerdmans, 1999.

ROUX H., *Les épîtres pastorales*, Genève, Labor et Fides, 1959.

SPICQ C., *Les épîtres pastorales*, coll. Études bibliques, Gabalda, Paris 1969.

TOWNER Philip H., *The Letters to Timothy and Titus*, Eerdmans Publishing Company, 2001.



١ تم ١: ١٧؛ ٦: ١٥-١٦ لملك الدهور كلُّ إكرام ومجد

الخوري بولس الفغالي

باحث في الكتاب المقدس

للنظريّات، بل هو السجود والإكرام أمام الله الذي صار حضوراً سامياً على الأرض، فاستطاع الناس أن يروه ويسمعوه ويلمسوه (١ يو ١: ١).^(٢)

فالمؤمن يؤدّي المجد لله فيعترف بأعماله. ذاك كان عمل إبراهيم الذي نال القوة في إيمانه، بعد أن انتظر طويلاً تحقيق مواعيد الله له. يقول الرسول: "مجدّ الله وثقاً بأنّ الله قادر على أن يفي بوعدته" (رو ٤: ٢٠)، وذاك يكون عمل المسيحيّ حين يدرك قدرة الله الذي أقام يسوع من بين الأموات (رو ٦: ٤)، وحين نفهم نحن المؤمنين صبر الله وطول أناته عندما يعاملنا بالرحمة، ويترك طريق الغضب، نكتشف مجده الحاضر (رو ٩: ٢٣).

تتوجّه المجدلة إلى الله الآب. وتتوجّه أيضاً إلى الله الابن، إلى الربّ يسوع من أجل عمله الخلاصيّ. فهذا

والمجد هو تجلّي الله في الخليقة، وظهور قدرته وعظمته. وحين يدرك المؤمن ذلك، تنطلق منه صلاة أو نشيد على مثال ما نقرأ في المزمور الثامن، أمام عظمة الإنسان في وسط الخليقة: "أيّها الربُّ ربُّنا، ما أعظم اسمك في كلِّ الأرض" (٢٦)، زمور جاء وسط عدد من المزامير فيها يتألّم المؤمن من الشرّ الذي يحيط به، فيصعد الكلام بشكل فعل إيمان بمن هو الحاضر والعامل في الكون وفي حياة أتقيائه. ذاك ما ينشده زمور آخر: "السموات تنطق بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يده" (مز ١٩: ٢).

هذه الطريقة في إعلان مجد الله^(١) تواصلت في العهد الجديد، منذ ولادة الربّ يسوع. وذلك حين أنشد الملائكة فوق مذود بيت لحم: المجد لله في العلى. تجلّى الله في هذا الطفل الوضع، فلا مجال للكلام الفلسفيّ ولا

بالكلام عن المجد تنطلق الرسالة الأولى إلى تيموتاوس، فتتحدّث عن المجد الذي نرفعه إلى يسوع المسيح، والكرامة القريبة من المخافة والتي هي موقف الإنسان في حضرة الله. وفي كلام مماثل، تنتهي الرسالة فتعلن الخلود إلى من هو ملك الملوك ورب الأرباب. وبين هاتين الذروتين هي أمور عملية لضرورة لتنظيم الكنيسة في أفسس، حيث يقول التقليد إن تيموتاوس كان أسقفاً عليها. أمّا كلامنا فيتحدّث عن المجدلات في الرسائل البولسيّة، عن أساسها في العالم اليونانيّ. وفي القسم الثالث ندرس المقطعين اللذين أشرنا إليهما في هذه الرسالة (١٧: ١ ثم ٦: ١٥-١٦).

١- المجدلات البولسية

تقوم المجدلة في أن تعلن المجد لله.

(١) P. van IMSCHOOT et M. LODD, «Gloire», in *Dict. Enc. de la Bible (= DEB)*, Brepols, 1987, p. 534-537; Id, *Théologie de l'A.T.*, I, (١) Tournai, 1953, p. 212-220; A. J. EVERSON, «Ezekiel and the Glory of the Lord Tradition» in D. DURKEN (ed.), *Sin. Salvation and the Spirit*, Collegeville, 1979, p. 163-176.

(٢) DEB, p. 536-53. هو نشيد التمجيد الذي يقابل نشيد التعظيم ("تَعْظُمُ نفسي الرب"، لو ١: ٤٦-٥٥) كما أطلقت مريم بعد خيرة البشارة وحلول ابن الله في حشاها، وفي ما بدأ عمله فيها من تقديس يوحنا وهو بعد في الحشا.

إلى أبد الدهور. آمين" (٥٦). ولماذا يمجّد بولسُ المسيح؟ "لأنّه ضحّى بنفسه من أجل خطايانا لينقذنا من هذا العالم الشرير" (٤٦).

لماذا هذه البداية عن يسوع المسيح؟ لأن الغلاطيّين تركوا التعليم الذي حمّله إليهم بولس، "وتبعوا بشارة أخرى" (٦٦). في الواقع، عادوا إلى الشرائع اليهودية ومتطلّباتها. فالخطأ كبير لأنّهم لم "يروا" مجد الله في شخص يسوع، بل حاولوا أن "يغيروا" البشارة، يغيروا الإنجيل، لكي يفرضوا تعليمًا بشريًا. فماذا بقي لهم من كلّ ما فعله المسيح حين "ضحّى بنفسه"؟ لا شيء. لذلك اعتبر بولس أنّه تعب باطلاً، ولكنّه أعلن أنّ قلب الإنجيل هو يسوع المصلوب. وبحدث قيامته الفريد، يقطع كلّ علاقة بالماضي، بالعالم القديم الذي ما زال يسيطر عليه إبليس، ويدخلنا في الخليقة الجديدة. أمام هذا الواقع الجديد، هتف الرسول: "له المجد إلى أبد الدهور".

ب- المجدلات في آخر الرسالة

هذا ما يجعلنا في إطار ليتورجيّ، حيث نشيد المجد ينهي صلاة الجماعة. في الرسالة إلى فيلبّي، كتب بولس يشكر أبناء هذه الكنيسة على المعونة التي وصلت إليه بواسطة أفروديتس. أبعد من تلبية حاجة ماديّة، اعتبر الرسول هذه العطية بشكل "ذبيحة" يقبلها الله، يرضى عنها" (فل ٤: ١٨).

يسوع المسيح، بل هم اتّهموا الله بأنّه أخلّ بوعده، واعتبروه جائراً، فبينّ لهم بولس أساس ابتعادهم: تعلّقوا بأعمال الشريعة، وما ارتبطوا بالإيمان بذاك الذي أرسله الآب وقدّسه (يو ١٠: ٣٦). وتألم بولس في أعماقه (رو ٩: ٢) من أجل "إخوته، بني قومه، في الجسد". لا جواب بشرياً، فما بقي له سوى الاستسلام إلى "غنى الله وحكمته وعمله". عندئذ ارتفع من قلبه آيُ المجد إلى الله. فمخطّطه يعلو إدراك البشر، وطرقه غير طرق البشر، كما قيل في إشعيا النبي: "طريقي غير طرقكم. وأفكاري أعلى من أفكاركم" (إش ٥٥: ٩). ولكن النتيجة أكيدة تأكيد المطر النازل على الأرض. لا يعود غيوماً إلّا "بعد أن يروي الأرض ويجعلها تجود، فتنبّت نباتاً وتعطي زرعاً للزراع وخبزاً للآكل" (١٠٦).

إذا كان المطر يفعل، فماذا لا يفعل الله بواسطة كلمته الخلاقة. إذا كانت المياه تنزل من سماءه، أما تنزل قدرته أيضاً؟ وإذا كان بالماء حياة الأرض، فماذا لا يفعل ربّ الماء؟ والماء يعود إلى الربّ في شكل سحب، ونحن كلّنا نعود إليه مع ذاك الذي ترك العالم وعاد إلى الآب (يو ١٦: ٢٨). مثل هذا الكلام يملأ القلب ثقة وأملاً بعمل الله. إذاً، "له المجد إلى الأبد!"

وفي الرسالة إلى غلاطية، انتقل الرسول من "الله أبينا" إلى "الربّ يسوع المسيح" (٣: ١). وأنهى كلامه: "له المجد

المجد ظهر بشكل نور على وجه المسيح (٢ كو ٤: ٦) لكي يضيء للبشر، بحيث يستطيعون أن يشاهدوا الله "ماشياً على أرضهم". كما قال الربّ نفسه: "من رأيَ رأى الآب" (يو ١٤: ٩). هذا النور يشرق في الظلمة فيراه المؤمنون، لا أولئك "الذين أعمى إله هذا الدهر بصائرهم حتّى لا يشاهدوا النور الذي يضيء لهم، نور البشارة. مجد المسيح الذي هو صورة الله" (٢ كو ٤: ٤).

أ- المجدلات في قلب الرسالة

تنوّع المجدلات البولسية في قلب رسائله، كما في نهايتها. فالوعاء يمتلئ بالماء أو بالخمر، وكذلك الرسول. يحسّ قلبه وكأنّه يشتعل، فيُخرج النار التي فيه، على مثال ما كان إرميا يفعل. نورد أولاً في رو ١١: ٣٣، ٣٦: ٣٣٢ ما أعمق غنى الله وحكمته وعلمه!

وما أصعب إدراك أحكامه وفهم طرقه!

٣٦٢ فكلّ شيء منه وبه وإليه،

فله المجد إلى الأبد. آمين.

تحدّث الرسول عن مسيرة الخلاص. الوثنيّون خطاة ويعوزهم خلاص الله. واليهود أيضاً الذين تصرّفوا بشكل جعل الناس يجدفون على اسم الله بسببهم (رو ٢: ٢٤). ولكن ماذا حصل؟ أولئك الذين نالوا "المجد والعهود والشريعة والعبادة والوعود" (رو ٩: ٤)، لم يصلوا إلى البرّ الذي حمّله

أولاً: في المجال النظري

فراة الإله تتطلب المديح والتمجيد. تحدث أهل البلاغة اليونان عن هذا الموضوع، ولكن أرسطو في كتابه البلاغة رتب، ومنهج وأبرز الفراة داخل نظرية متكاملة حول البلاغة. وبمختصر الكلام، يقول لنا طوعاً ما الذي يعنيه بمقياس الفراة.

كانت البلاغة تقسم إلى إثني: الإثباتي épideictique والتداولي délibératif، ولكل وجهة هدفها ومرماها. وفي عرض أرسطو للبلاغة rhétorique يعلمنا الخطيب كيف تضخم المديح، كيف نصوغ العمل الذي يحمل المديح، وأية وسيلة نستعمل لنفنع نفوسنا وفي الوقت عينه نفرض الاحترام.

في الأسلوب الإثباتي على الإنسان أن يستعمل عدداً من أنواع التضخيمات. مثلاً، إذا كان موضوع المديح هو الفريد^(٧) أو الأول^(٨) أو واحد في قلة قليلة^(٩)، أو واحد يكون أفضل من يعمل شيئاً^(١٠) لأن هذه الأشياء كلها تستحق المديح^(١١).

باسم (الكنيسة أمام السر الذي أوحى الآن، بعد أن كان مكتوماً. بواسطة الأنبياء عرف، بعد أن تمت أقوالهم، وبواسطة الرسل، الذين بهم وصلت البشارة إلى العالم كله. تطلعت الكنيسة إلى وراء، ففرحت لأنها حاضرة في وقت كشف اسم يسوع المسيح، وصار منذ الآن المفتاح لتاريخ الكون ولمصير الإنسان^(٤)).

٢- أساس المجدلات في العالم اليوناني

انطبع بولس بالثقافة اليونانية وهو المتعلم في طرسوس^(٥)، تلك المدينة الجامعية، لهذا نعود إلى هذه الحضارة ونكتشف ما تركت لنا من آثار نشد مجد الآلهة. أما الفن الأدبي فهو البلاغة في المجال النظري كما في المجال العملي^(٦). بما أن الإله في المدينة، أو في شعب من الشعوب، فريد، واحد، ولا يذكر معه آخر، لهذا نشد له المجد.

تذكر بولس ما كان يفعل في العهد القديم، فأعطاه معنى روحياً، فتحدث عن "غنى عظيم في المسيح" (١٩٦). وأنهى كلامه: "المجد لله أبينا إلى أبد الدهور. آمين" (٢٠٦).

لا يبقى بعد ذلك، سوى التمتة والختام. كما في الرسالة إلى رومة (١٦): ٢٥-٢٧:

٢٥٢ للقداد أن يثبتكم بحسب الإنجيل،

وكراسة يسوع المسيح حسب إعلان السر المكتوم في الأزمنة الأزلية،

٢٦٢ ولكن ظهر الآن بالكتب النبوية حسب أمر الله الأزلي

و عرف جميع الأمم لطاعة الإيمان. ٢٧٢ لله الحكيم وحده

بيسوع المسيح الذي له المجد إلى الدهور^(٣).

ينشد الرسول قدرة الله. ويندهش

(٣) أخذنا الترجمة بين السطور، العهد الجديد، الجامعة الأنطونية، ٢٠٠٣، ص ٧٨٩.

(٤) TOB, p. 2736, n. b.

(٥) نحن لا نتخذ موقفاً من نسبة ١ تم إلى بولس الرسول. وإن يكن موقفنا واضحاً بأن هذه الرسالة جاءت في الربع الأول مع القرن الثاني، مع تنظيم الجماعات الكنسية مع الأساقفة والشمامسة والأرامل. رج بولس الفغالي، رسالة القديس بولس الأولى إلى تلميذه تيموتاوس، الرابطة الكتابية، ٢٠٠١،

مخطّات كتابية، ٢١، ص ٢٢-٢١. R. E. BROWN, *Que sait-on du NT?*, Paris, 1997, p. 705-723; H. CONZELMANN & A.

LINDERMANN, *Guide pour l'étude du NT*, Labor et Fides, 1999 (MdB n. 12), p. 331-340; Y. REDALIE, "Les épîtres pastorales" in D. MARGUERAT, *Intr. au NT, son histoire, son écriture, sa théologie*, Labor et Fides, 2000 (MdB 41), p. 307-326.

J. H. NEXREY, "First", "Only", "One of Few", and "No One Else". The Rhetoric of Uniqueness and the Doxologies in 1 Timothy", (٦) *Biblica*, 85 (2004) 58-87.

Seul, Movoç (٧)

Premier, Πρωτος (٨)

μετ' ολιγων (avec peu de gens) (٩)

Μαλιστα (le meilleur) (١٠)

Rhet 1.9.38; voir aussi *Rhet* 2.7.2 (١١)

أو الإنسان الوحيد^(١٩) أو في أي حال، الواحد في قلة^(٢٠)، قد قام بها. وعلينا أن نضيف إلى هؤلاء كمالات تتجاوز آمالنا أو انتظاراتنا^(٢١).

بالإضافة إلى ذلك، مقاييس الفريدة عند كونتيليان هي واضحة وتقليدية: "الوحيد"، "الأول"، "واحد في قلة"، "انتظار يتجاوز كل شيء".

وإذا كان كونتيليان جعل مقاييس الفريدة لدى نخبة رومة، فإن أيليوس تيون يمثل ذات التقليد الإثباتي في إطار المستوى الثاني من التربية^(٢٢). فالمدرسة الأولى لديه، التي تتضمن تربية مبنوية لكتابة التقريظ^(٢٣)، تدجن البلاغة الإثباتية من أجل الأهداف المدرسية. وتكمن أهمية تيون في عنصرين اثنين: الأول، هو يمثل تقليداً بلاغياً، قديماً وثابتاً فوق الزمن. الثاني، قواعده من أجل التقريظ، تدل على أن معرفة فن

"التي لا سابقة لها" تقابل "الأول" في لائحة أرسطو. وهكذا فالعمل اللامسبوق، الذي لم يُعمل أبداً من قبل، هو فريد. "واللامتوازي" يشير إلى "فريد"، بمعنى أن هذا الشخص هو الوحيد الذي صنع هذا وذلك. ومع أن كلام شيشرون حول أهمية "المميز في العظمة، فلا يشير بشكل آلي إلى "الفريد" أو "الحصري"، فهو يميز الأعمال الفريدة خارج "الكمالات الصغيرة" وما هو "لاعادي" وما هو خارج المؤلف". وهكذا يمكن القول عن عمل نادر، وعمله "واحد في قلة"، إذا لم يكن عمله إنسان وحده^(١٦).

ومقال كونتيليان^(١٧) حول البلاغة، يتضمن ملاحظات حول الفريدة، شبيهة بما عند أرسطو: ما يرضي السامعين بشكل خاص، هو إنشاد الأعمال التي بطلها الأول^(١٨)

ذكرت أربعة مدائح مضخمة، وكل منها يبرز شكلاً عن الفريدة. أن يكون الأول أو الشخص الوحيد الذي يتم شيئاً من الأشياء، هذا ما يشكل أكثر الأشكال المعروفة من التضخيم في بلاغة المديح.

وبعد أجيال، قدم شيشرون شاهداً رومانياً إلى مبدأ الفريدة. فحين تكلم على ما يخدم مديح الخطيب، أورد الفضيلة، الإحسان، الاحتمال، الأعمال الفريدة:

ينبغي اختيار الكمالات التي هي مميزة في العظمة^(١٢) أو الجديدة^(١٣) الأولى التي لم تكن لها سابقة، أو لا يوازيها شيء في طابعها الحالي^(١٤)، لأن كمالات صغيرة أو تلك الاعادية أو خارج المؤلف، ليست القاعدة لكي تكون هذه الكمالات مدهشة أو لتخدم المديح^(١٥).

Magnitudine praestabiles (١٢)

Novitiae primae (première nouveauté) (١٣)

Genre singulier en son genre (١٤)

De Orat 2.85.347. (١٥)

(١٦) طالب الإمبراطور أوغسطس بأرفع كرامة بسبب إحساناته الفريدة للجيش: "كنت الأول والوحيد (primus atque solus omnium) الذي عمل هذا بين كل الذين جعلوا مستوطنات الجنود في إيطاليا أو في المناطق" (Res Gestae 16). وقال بلوتارك: "في الحياة العامة، يجب التهرب من حيث الشهرة والرغبة في أن أكون الأول والأعظم. πρῶτον καὶ μέγιστον. راجع Old Men in Public Affairs 788E.

Quintillien (١٧)

Primus (premier) (١٨)

Solus (seul) (١٩)

Cum paucis (avec peu de gens) (٢٠)

Aelius Theon (٢١)

R. A. KASTER, «Notes on "Primary" and "Secondary" Schools in Late Antiquity», TAPA, 113 (1983) 323-346; M. BLOOMER, (٢٢)

"Schooling in Persona: Imagination and Subordination in Roman Education", Classical Antiquity, 16 (1997) 57-78.

Encomium (٢٣)

أن كل خير يأتي من لدن الآلهة. "وأكثر الكرامات ضرورة" نجدها في وضع المصريين الذين يعلنون أن النجامة^(٣٤) والهندسة آتيان من عند الآلهة. "الأكثر..." تنطبق على البلاغة وعلى الفلسفة اللتين تُعتبران بشكل خاص امتيازاً للآثينيين^(٣٥).

العلامات التقليدية للفرادة (الأفضل، الأول) هي واضحة. ولكن أضيف إليها "أكبر عدد" من الآلهة، و"أفضل" الآلهة، وأكثر الإحسانات عدداً. وهكذا تكون مدينة أثينة، فريدة وسط الحواضر اليونانية: فزوش، أفضل الآلهة، كرمها بإحسانه. وأكبر عدد من الآلهة يعمل لخير هذه المدينة (ديونيسوس، أبولون...). كانت أثينة أول من كُرِّمت، أو من كُرِّمت بأفضل الإحسانات، أو نالت أكبر عدد من الإكرامات.

وخلاصة القول، ينبغي أن نعطي ثقلًا هاماً للطريقة التي بها تُضخَّم

النهاية، بعض الأعمال تنال الإعجاب الكبير مثل تلك التي نعملها بدون مجهود، بل بسهولة، أو بدون وقت، بل بسرعة.

وأخيراً قدم مناندري البليغ^(٢٦) في نظرتة البلاغية إلى المديح، نظرة مختلفة إلى التقليد، فجاءت ملاحظاته، أقل نظرية من نظرات الآخرين البلاغية، وشددت على طريقة خاصة في تضخيم المديح لآلهة المدينة:

علينا أن نبين أن أكبر عدد^(٢٧) من الآلهة، أو أفضل الآلهة^(٢٨) كبرموا المدينة بأكبر الكرامات^(٢٩) أو بأول الكرامات^(٣٠) أو بأكثر الكرامات عدداً^(٣١). فالآلهة الأكثر عدداً ارتبطوا بالآثينيين: قيل إن ديونيسوس وأبولون وبوسايدون وأثينة وهافايسستوس وأريس^(٣٢)، كل هؤلاء أو أكثرهم، كرموا (مدينة) أثينة. "أفضل الآلهة" أي زوش في الأولمب، ونامايا^(٣٣). أعظم الآلهة ارتبطوا بالآثينيين لأنهم أعلنوا

المديح وممارسته، هما منتشرتان وفي شكل اصطلاح. فجاء كلامه كما يلي: الأعمال التي تستحق المديح هي أيضاً تلك التي تحصل في طريقة وقتية، وإذا تصرف واحد (مونوس)، أو الأول (بروتوس)، أو ساعة ما من أحد عمل (أودايس)، أو عمل أكثر من الآخرين (مَلُون تون ألون)، أو مع القليلين (مات أوليغون)، أو كان تحت السن (هيبار هيليكيان)، أو ما تجاوز الآمال (بارا هليبيدا)، أو مع عمل قاسٍ، أو ما صنع بسهولة^(٢٤) وسرعة^(٢٥).

تدل هذه المفردات على ما فهمه تيون كأسس من أجل المديح، وهو ما ندعوه مقياس الفرادة. وهذا ما يعود بنا إلى ما هو فريد إطلاقاً: مثلاً، حين يعمل إنسان عملاً وحده، أو يكون الأول، أو يكون مع قلة من الناس. والمديح الكبير يحفظ لأولئك الذين يتجاوزون المقياس: مثلاً، من يعمل وهو صغير السن، أو يتجاوز كل الآمال. وفي

(٢٤) بين قوسين Theon 9, 35-38. Pour les mots grecs: *μονος, πρωτος, ουδεις, μαλλον των αλλων, μετ ολιγων υπερ ηλεκταν, παρα ελπιδα*

J. R. BUTTS, The "Progyrnasmata" of Theon. A New Text with Translation and Commentary (unpublished dissertation. Claremont (٢٥) Graduate School 1987), p. 470-471, cité dans J. H. NEYREY, "First", "Only", *op. cit.*, p. 62.

Memandre le Rhéteur (٢٦)

πλειστους: le plus grand nombre (٢٧)

αριστους: les meilleurs (٢٨)

μεγιστας: les plus grandes (٢٩)

πρωταις: les premières (٣٠)

πλειστας: les plus nombreuses (٣١)

Dionysos, Apollon, Poseidon, Athéna, Hephaestus, Aris (٣٢)

Zeus, Nemea (٣٣)

Astronomie (٣٤)

D. A. RUSSELL - N.G. WILSON, *Memander Rhetor* (Oxford, 1981), 1.362.4-20. PLUTARCH, *On the Fame of the Athenian*, 345F- (٣٥)

346A. رج بولس الفغالي، الأدب الفلسفي والحكمي، الرابطة، الكتابة ٢٠٠١، على هامش الكتاب ٧، ص ٢٠٣-٢٢٨.

أن يُشركوا موتهم مع الكثيرين ولكن ضعفهم مع القليلين" (الخطبة، ٢٤). وهكذا يكرم رجال أثينة في الماضي وفي الحاضر على أنهم "أولون وفريدون" أو "أولون في قلة".

وامتدح توسيديد^(٤٠) أثينة كمنبع جغرافي للنبل لدى الذين يذكروهم في خطبته الجنائزية (٢: ٣٥)؛ فحين امتدح أولئك الذين سقطوا في حرب البيلوبونيز^(٤١) ضخم عظمتهم التي أخذها من أثينة، التي هي أم الأبطال لأنها مدينة فريدة في نبلها:

"وحدهم الأثينيون ينظرون إلى الرجل الذي لا يشارك في الأمور العامة، لا على أنه يهتم بتجارته الخاصة، بل على أنه غير صالح لشيء" (٢: ٤٠/٢). وواصل كلامه:

"نحن وحدنا نقدم الإحسانات بدون خوف من النتائج، ولا نحسب ما يمكن أن نربحه، بل نشق بروح السخاء الذي ينشط فينا" (٢: ٤٠/٥). وفي النهاية يعلن:

بما أن أثينة وحدها^(٤٢) بين معاصريها... تفوق^(٤٣) الوصف، وبما

والذرية^(٣٧). فالاحتفال بأثينة على أنها مدينة المتوقى، يتضمن أن الميت الذي يمدح يشاركها في فضائلها. وتقرظه يتأسس على مديح أمه "الجغرافية"، أثينة، والأجداد في الأجيال السابقة الذين رفعوا هذه الحاضرة النبيلة.

كان من الطبيعي، من أجل أجدادنا... أن نقاتل قتال العدالة، لأن بداية حياتهم الأولى كانت عادلة... كانوا أول الناس وكانوا فريدين^(٣٨) في وقت سارت الطبقات... وأقامت الديمقراطية^(٣٩).

أجداد هؤلاء الموتى قاتلوا من أجل حرية أثينة، على مثال ما فعل أولادهم اليوم. ولكن الذين ما شافوا اليوم يكرمون بشكل فريد. كانوا الأوائل، بل قاتلوا وحدهم (الخطبة ٢٣) في هذه الظروف. ما من يوناني آخر تجرأ فحاول أن يخلص الآخرين، وما من إنسان يستطيع أن يجد حكومة مثل التي في أثينة، وما من شعب آخر نعم بمثل هذه الحرية، وما من إنسان آخر عاش في الديمقراطية. وواصل ليسياس كلامه: "هناك آخر واحد لهم

الأعمال، في البلاغة، لأن مقاييس المديح هذه تمثل مفصل التقليد البلاغي، الواعي والمتواصل. فالكتاب، مثل أرسطو، ربّوا الممارسة في أيامهم. أما أرسطو فعبر عن المبدأ العام الذي لاحظته أولئك الذين جاؤوا بعده.

ثانياً: في المجال العملي

نميز هنا اثنين: الكلام الجنائزي، المدائح اليونانية والصلوات.

أ- الكلام الجنائزي

تشكل الخطب الجنائزية لدى اليونانيين، جسماً مميزاً من المديح البلاغي، ويذكر أرسطو معظمها في كتابه البلاغة. نقرأها فنتفحص استعمال التضخيم من أجل الفريدة. ومع البلاغة النظرية التي تحدّثنا عنها، تشهد هذه الأمثلة أن مبدأ الفريدة هو تقليد أدبي ثابت ينطلق من عصر أثينة الذهبي.

في الكلام الجنائزي تبع ليسياس^(٣٦) اصطلاحاً فيه يمدح الناس على مستوى الجغرافية (البلاد) والنسل

(٣٦) Lysias 459-380 av JC

B. J. MALINA - J. H. NEYREY, *Portraits of Paul. An Archeology of Ancient Personality* (Louisville, K.Y, 1996), p. 3-4, 113-125; J. (٣٧)

H. NEYREY, *Honor and Shame in the Gospel of Matthew* (Louisville, KY, 1998), p. 78-80, 94-97.

πρωτοι και μονοι (٣٨)

LYSIAS, *Funeral Oration*, 17-18. (٣٩)

Thucide (455-400) (٤٠)

Peloponnèse (٤١)

μονη: seule (٤٢)

κρυσσον: supérieure (٤٣)

أنظر إذا كنت لا تريد أن تجد أن التمثال يُحفظ مع كل الألقاب التي بها يُعرف زوش. فهو وحده بين الآلهة من لُقّب "الأب والملك"، "المحامي عن الحواضر"، "إله الأصدقاء"، "إله الأصحاب"، "المحامي عن الطالبين"، "إله الضيافة"، "معطي النمو" (١٢: ٧٥). بما أن زوشاً له أسماء عديدة فهو يكرم حصراً كالألوهة لدى كليات الرواقين. حين يتوجه النشيد إلى زوش على أنه "العلّة الأولى للخلقة"، فهو يكرّمه على أنه وحده معطي العقل logos الذي يجعل الكون في متناول الفكر البشري. وفي النهاية، زوش هو المعلم والقائد فوق كل الأشياء، فيدلّ على تساميه الفريد وقدرته: وَضَعُ زوش فريد، أسماؤه عديدة، دوره حصري في صنع المسكونة وتديرها. وفي خط آخر، نقرأ شعراً يمتدح الإلهة إيزيس ويدعو الناس إلى تكريمها بحسب أسمائها العديدة:

تُبرز فرادة الآلهة وتمدحهم. وجاءت الصلوات في العالم اليوناني، في بنية مثلثة: (١) نداء إلى الألوهة بواسطة الاسم أو اللقب والكنية، أو صفة من الصفات. (٢) خطبة تأتي في صلاة تشرح لماذا توجه المؤمن إلى إلهه الخاص، وما هي علاقته بهذا الإله، ولماذا يظن أنه يقدر أن يحسب حساب مساعدة هذا الإله. (٣) الطلب أو مضمون التوجه^(٤٨). ونحن لا نعجب إن وجدنا "الفرادة" في الصلاة والدعاء. مثلاً: كلايانث "في مديح زوس"^(٤٩):
أنت يا أجد الخالدين
المكرم فوق الأسماء العديدة
يا زوش، يا أول علّة للطبيعة (المخلوقة)
وجه كل شيء نحو الشريعة^(٥٠).
زوش هو فريد لأنه الأجد، حتى وسط الخالدين، أي بين مجموعة من النخبة القائمة وحول زوش الذي نال الأسماء العديدة، نقرأ ما قال ديون الذهبي الفم^(٥١):

أنها وحدها لا تخاف العدو الآتي عليها، فغضب لأنه فُهر، كما أن سكّانها لا يكون إذا كان سيدهم غير جدير (٤١/٢: ٣).

وفي النهاية أفلاطون (٤٢٩-٣٤٧ ق.م.) في كتابه مناكسانس^(٤٤). قدّم سقراط إلى مناكسانس خطبة جنازية أخذت كل الاصطلاحات البلاغية في ذلك اليوم. لا نعجب إن كان بلد (جغرافية) شخص يعطيه ينبوعاً كبيراً من الكرامة، وهنا أثينة. عدد سقراط أسباباً كثيرة لإكرام أثينة، ولا سيما فرادتها. "كانت أرضنا الفريدة"^(٤٥) والأولى في ذلك الزمان في تأمين الغذاء للناس^(٤٦). ثم إن جنود أثينة "بواسطة النصر الذي نالوه على البرابرة علّموا سائر الناس أن قوة الفرس يمكن أن تغلب" (مناكسانس ٢٤٢ ب). وهكذا تكون الفرادة أمراً عادياً في بلاغة الخطبة الجنازية^(٤٧).

ب- المدائح اليونانية والصلوات

واعتادت المدائح والصلوات أن

Menexenus (٤٤)

Μονη... πρώτη (٤٥)

Demosthène, Discours funéraire, LX, 5. Menex 237e (٤٦)

(٤٧) تحدّث (Isocrate (436-388)، عن قريب له توفي: أنت، يا Nicocles، أنت الأول والفريد (πρωτος και μονος)، أنت واحد من الذين امتلك القدرة الملوكيّة والترف للذين ساعدك لكي تواصل دراستك الفلسفيّة.

H. S. VERSNEL, "Religious Mentality in Ancient Prayer", *Faith, Hope and Worships. Aspects of Religious Mentality in the Ancient World* (ed. H. S. VERSNEL, Leiden, 1981), p. 2; L. ALDERINK-L. MARTIN, "Prayer in Greek-Roman Religions", in *Prayer from Alexander to Constantine. A Critical Anthology* (ed. M. KILEY, London, 1997), p. 123-127.

CLÉANTHE, *Hymne à Zeus* (٤٩)

A. C. PEARSON, *The Fragments of Zeus and Cleantes*, New-York, 1973, p. 274-275. (٥٠)

Dion Chrysostome (٥١)

إلى الله اللامات
الوحيد (الفريد) الذي لا يرى
الكرامة والمجد
إلى دهر الدهور. آمين.
* ملك^(٦٠). إن لقب ملك يُطبق عادة
على الله في العهد القديم، ونادراً في
العهد الجديد^(٦١). أما عبارة "ملك
الدهور" فهي تشير إلى من هو "إله
الأزل"^(٦٢). وهكذا يُعلن الله فريداً
على أنه القدير الذي يمارس قدرته،
وأن سلطانه يدوم ولا نهاية له. في
هذا المجال تحدث شرّاح الرسائل
الرعاية عن ذلك الكاتب المسيحي
الذي أراد أن يقف في وجه القائلين
بأن الإمبراطور الروماني هو إله^(٦٣)،
فهتف: "الله هو الملك، وهو يملك
إلى الأبد". هذا يعني أن الرب هو
الإله الأول والإله الوحيد، ولا يقف
تجاهه "مات" أكان إمبراطوراً أم لا.
* اللامات^(٦٤). نسب الكاتب إلى الله

داخل الرسائل أو كجزء من النهاية^(٥٥).
وجاء من يميز نمطين من المجدلات
الببليّة^(٥٦). ففي ١ أخ ٢٩: ١٠-١١
(حسب السبعينية) نجد أمرين: شكل
عبري يبدأ مع: "مبارك"^(٥٧) أنت أيها
الرب إله إسرائيل... (٢٩: ١٠). ثم غط
ثان: "لك"^(٥٨) أيها الرب العظيمة
والقدرة والمجد... (٢٩: ١١). جاءت ١
تم ١: ١٧ و ٦: ١٥-١٦ في شكل
النمط الثاني.

جاءت أكثر المجدلات في العهد
الجديد، في أربعة عناصر: إلى من
توجّه، في صيغة الجرّ datif، ثم
"الكرامة" أو "المجد". بعد ذلك، إلى
متى يدوم هذا المجد؟ "إلى الأبد".
وأخيراً: "آمين" علامة الموافقة^(٥٩). هذا
ما يدفعنا لكي نبرز أولاً، عنصرين اثنين
لاكتشاف البلاغة في "الفردة". ونقرأ
١ تم ١: ١٧:

إلى ملك الدهور،

أنا إيزيس، ملكة الأرض كلّها^(٥٢)
علّمها هرمس
وأني شريعة أمرت لا يمكن أن
تُلغى^(٥٣)
أنا أكبر فتاة لأكثر الآلهة شباباً،
كرونوس (الوقت)
أنا زوجة الملك أوزيريس وأخته
أنا أول من كشف ركناً للبشر
أنا أم الملك حورس^(٥٤).

٣- فردة الله في مجلدات ١ تم

توقّفنا عند العالم اليوناني وأطلقنا،
لأن بولس يكتب إلى أهل اليونان،
فيستعمل الأساليب التي استعملوها.
في هذا الإطار نقرأ نصين في ١ تم.
الأول، ١: ١٧. والثاني، ٦: ١٥-١٦.

أ- ملك الدهور (١٧: ١)

تبدو المجدلات بشكل غير متوقع

(٥٢) (الكورة) πασης χωρας

(٥٣) ουδεις αυτα δυναται φυσσαι

(٥٤) M. GUSTAFSON, "The Isis Hymn of Diodorus of Sicily (1.27.3)", in *Prayer from Alexander...*, p. 155-158.

(٥٥) رج رو ١: ٣٦؛ غل ١: ٥؛ فل ٤: ٢٠؛ أف ٣: ٢٠؛ ٢٠: ٢؛ ٢١: ٤؛ ١٨.

(٥٦) M. BLACK, "The Doxology to the *Pater noster* with a Note on Matthew 6, 13B", *A Tribute to Geza Vermès* (ed. P. R. DAVIES - R. T. WHITE), Sheffield, 1990, p. 327-338.

(٥٧) Εὐλογῶντος. Voir Lc 1, 68; 2Co 1, 3; 11, 31; Rm 1, 25; Ep 1, 3; 1P 1, 3.

(٥٨) (τω θεω)

(٥٩) D. E. AUNE, *Revelation 1-5* (Dallas, 1997), p. 43-46.

(٦٠) βασιλευς

(٦١) فقط ١ تم ١: ١٥؛ رؤ ١: ٣. ولكن في العهد القديم: إش ٦: ٥؛ إر ١٠: ١٠؛ مز ٧٤: ١٢؛ سي ٥١: ١.

(٦٢) C. SPICQ, *Les épîtres pastorales* (Paris, 1969), I, 346-347; voir Tb 13, 7, 11; Si 36, 17; I. H. MARSHALL, *A Critical and Exegetical Commentary on the Pastoral Epistles* (Edinburg, 1999), p. 404.

(٦٣) SPICQ, *Ibidem* I, 346; Y. REDALIE, *Paul après Paul*, Genève, 1994, p. 91.

سواه. وربهم واحد وهو ملك الملوك ورب الأرباب.

* اللامنظور. الذي لا يرى. هو لفظ نجده في الكتاب المقدس (خر ٣٣: ٢٠). ولكنه عملياً يأتي من العالم اليوناني الروماني. فحين استعمل فيلون الإسكندراني^(٧١) والمؤرخ يوسف^(٧٢) "اللامنظور"، عكس استعمالهما كلياً يونانياً حول "الإله"، على مثال بولس الذي قال إن الله لا يرى (رو ١: ٢٠؛ كو ١: ١٥؛ عب ١١: ٢٧).

الافاسد واللامنظور صفتان تجعلنا في إطار سلبى للكلام عن الإله في العالم الوثني. وكانت صفات أخرى. اللاموصوف، اللامصور، الذي لا تراه العين البشرية، اللامفهوم، الذي لا يزاخمه أحد في حكمته^(٧٣)

واللامات والكامل في سعاده. وقال بلوتارك: "الآن نسمع اللاهوتيين يؤكدون ويتلون... أن الإله لا يموت وأنه أزل في طبيعته"^(٦٨). فالألوهة الحقيقية تتميز عن الأبطال المائتين^(٦٩) وتسمو على كل الخلائق كما على المائتين المؤلهين بعد موتهم. هو أمر مهم جداً من أجل أناس يعيشون في المحيط الروماني اليوناني حيث الآلهة عديدون، حيث الأبطال يدخلون إلى عالم الخلود، حيث الإمبراطور يُعبد ومثله رومة في ساحة كل مدينة من المدن الرومانية، التي كانت تفتخر بأن تمثال الإمبراطور في الساحة العامة، فيسجد له الجميع ويقدمون له البخور. ومن رفض هذه العبادة عُذ خائناً للدولة وبالتالي يستحق الموت. لهذا قيل: المسيحيون، يجب أن يموتوا^(٧٠). والسبب: لأن إلههم واحد ولا إله

ثلاث صفات: اللامات، اللامنظور، الإله الوحيد. اللامات يدل على الإله الحقيقي، ذاك الذي لا بداية له. ذاك الذي لا يصل إليه الفساد في الآتي من الأيام^(٦٥). ولنا مثال على ذلك ديودور الصقلي الذي قابل الآلهة الحقيقية والمائتين الذين صاروا آلهة بعد الموت، فأعلن السمة المميزة للإله الحقيقي: أزلية الوجود وأبدية. لا بداية له في الماضي. لا نهاية له في المستقبل. بالنظر إلى الآلهة، أوصلت الأزمنة القديمة إلى الأجيال اللاحقة نظرتين مختلفتين. قالوا: بعض الآلهة هم أزليون ولا ماتون، لا يدرهمهم الفساد^(٦٦). فلكل واحد من هؤلاء البداية والامتداد هما من أزل إلى أبد (٢: ١/٦). وأعلن سكستوس أمبريكس^(٦٧) في الخط عينه: "الله هو الأزلي"

(٦٤) αφθαρτος - αορατος - μονωθεω صيغة الجر - αφθατος

C. H. TALBERT, *What Is a Gospel? The Genre of the Canonical Gospels* (Philadelphia, 1977): J. H. NEYREY, «Without Beginning (٦٥) of Days or End of Life» (Hebrews 7: 3): Topos for The Deity», *CBQ*, 53 (1991) 441-444.

αιδιους και αφθατους (٦٦)

Sextus Empiricus, *Adv. Phy.*, 1.45. (٦٧)

Diogène Laërce 7, 137: Philon, *Cherubim*; Justin, *Dialogue*, 5 Plutarque, *E. Delphi*, 388F (٦٨)

(٦٩) إن لفظ αφθατος استعمله الرواقيون وانتقل إلى العالم اليهودي. رج حك ١٢: ١؛ فيلون، موسى ٢: ١٧١؛ اللامتبدل ٢٦؛ ذبيحنا قاين وهابيل ١٠١.

Marshall, *Pastoral Epistles*, p. 405.

Christiani Moriuntur (٧٠)

(٧١) مع أن فيلون يستعمل αορατος لكي يدل على الآلهة الوثنية، فهو يعلن أن الإله الذي لا يرى هو وحيد، فريد، لأنه وحده يرى خفايا الأمور (الشرائع ٤: ٣٠). وأنه اللامنظور الرائي خلق العالم رج أيضاً الشرائع ١: ٢٠؛ إبراهيم ٧٥: موسى ٢: ١٧١.

(٧٢) استعمل يوسف هذه الصفة للكلام عن النفس التي "تنعم بالبركة" μακαριος والطاقة والقدرة في كل المجالات، فتكون مثل الله نفسه لامنظورة αορατος للعين البشرية... لأنها واحدة في طبيعتها ولا فاسدة αφθατος (الحرب ٧: ٣٤٦-٣٤٧). voir A. T. HANSON, *The Pastoral Epistles* (Cambridge, 1966), p. 29.

Théophile d'Antioche, *Autolycus* 18 (٧٣)

هذا يعني أن الله لا ينتمي إلى عالمنا المادي، بل إلى العالم العلوي.

* **الوحيد^(٧٤)**. هناك ثلاثة استعمالات لهذا اللفظ. (١) التعبير الأسمى عن التقوى تجاه الآلهة. (٢) وضع الفلاسفة. (٣) تعبير عن الديانة التوحيدية. فالمدائح الأورفائية^(٧٥) عرفت أن "الإله" وحده يحرر الإنسان. وحده يدبر مسيرة البشر. وحده ينظر كل نسمة. وحده يخلص الإنسان من الموت في البحر... الإله يكون فريداً في وظيفته، في وضعه، في مجاله^(٧٦).

هذا في العالم الوثني، أما في العالمين اليهودي والمسيحي، فالكلام عن الإله الواحد نقرأه مثلاً في تث ٤: ٣٥؛ ٦: ٤ (رج إش ٤٤-٤٥). الإله الواحد هو فريد، لأن الألوهة واحدة هي، ولا يكون بقرها ألوهة أخرى. هنا نتذكر عبارات نقرأها في السبعينية: "من هو مثلك؟" (خر ١٥: ١١؛ صم ٢: ٢؛ صم ٢٢: ٣٢). "ما من أحد تجاهك" (تث ٤: ٣٩، ٣٥؛ ٦: ٤؛ ٣٩: ٣٢). "أنت الإله الوحيد في كل الممالك" (٢مل ١٩: ١٥؛ نع ٩: ٦).

* **المجد والكرامة^(٧٧)**. تتضمن المجدة في ١ تم ١: ١٧ أموراً تقليدية أخرى نجدها في المجدلات: رفع المجد إلى الله. دوام هذا المجد. وأخيراً الجواب: نعم. هنا المجد والكرامة يبدوان لفظين مترادفين. ويدلآن على الاحترام العميق، على المديح والبهاء والجلال. نحن نمتلى عجباً ودهشة أمام عمل تام، أمام دور قام به الرب، أمام موقعه في العالم. في العهد الجديد، نرفع "المجد" إلى الله (رو ١١: ٣٦؛ غل ١: ٥٠)، "المجد والسلطان" (١ بط ٤: ١١؛ رؤ ١: ٦). "المجد والإكرام" (رؤ ٤: ١١؛ ١٣: ١٣). وهناك أيضاً مجدلات موسعة كما في يهو: "المجد والفتنة والقدرة والسلطان".

* **إلى دهر الدهور^(٧٨)**. اعتبر البعض أن هذه العبارة تتضمن عنصرين اثنين. الأول: إعلان المديح لله. الثاني، تأكيد لامتداديته في الزمن^(٧٩). ما نستطيع ملاحظته هو أن مجدلات العهد الجديد تتضمن مثل هذه التعابير على لامتدادية الله وفي أشكال متنوعة. من العبارة البسيطة:

إلى الدهر (رو ١١: ٣٦). أو "إلى دهر الدهور"، كما هو الأمر هنا (٢ تم ٤: ١٨). والموسعة: "قبل جميع الدهور والآن وإلى كل الدهور" (يهو ٢٥). في العالم اليوناني والروماني، نجد كلاماً عن الإله الذي هو بداية كل شيء ونهاية كل شيء (الأورفية ٤: ٢؛ ١٥: ٧). لا بداية له (١٠: ١٠) ولا نهاية (١٠: ٨). هو لا يعرف الفساد (أفثارتوس) ولا الموت (أتاناثوس). أجل الإله هو العائش. والجواب يكون: آمين. أنا موافق. وأنا أنشد ملك الله وأرفع له المجد.

ب- المبارك الوحيد (١ تم ١٥-١٦)

هذه المجدة الثانية التي نقرأها في ١ تم تتضمن بنية مصاغة بإحكام مع سلسلة من الأسماء والألقاب والصفات. وها نحن نقرأها:

١٥ الذي سيبيته في أوقاته (المجددة من قبل الله)

المبارك العزيز، الوحيد

ملك الملوك ورب الأرباب

١٦ الذي وحده له عدم الموت (الخلود)

μονος (٧٤)

Hymnes Orphiques 33, 2; 58, 8; 64, 8; 74, 6; 75, 7; 85, 3 (٧٥)

G. DELLING, "Μονος θεος", Studien zum Neuen Testament und zum hellenistischen Terdentum (Göttingen 1970), p. 391-400; R. M. (٧٦)

GRANT, God and the One God (Philadelphia, 1986), p. 75-83.

δοξα και τιμη (٧٧)

εις τους αιωνας των αιωνων (٧٨)

E. WERNER, "The Doxology in Synagogue and Church. A Liturgico-Musical Study", HUCA, 19 (1945-1946) 275-351. (٧٩)

* يسكن في نور لا يُدنى منه^(٩١). كان
الملوك يخشون عن الشعب بحيث لا
يصلون إليهم بسهولة. فبقدر ما
يخشون يكونون مكرمين. إذا كان
"أفتارتوس" يدلُّ على تفوق على

-

ربّ واحد هو يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء، ونحن له" (٦٦). وكما أخذ العهد القديم اسم "الله" (ال هـ ي م) من الشعوب السامية، واسم "الرب" (ي هـ و ه) من عالم مديان وشبه جزيرة سيناء، أخذ العهد الجديد الأسماء التي أعطيت لآلهة الأمم، وجعلها في الكلام عن الله: لا يعرف الفساد ولا الموت. أزلي، لأنّ لا بداية له. وأبدي، لأنّ لا نهاية له. بعيد عن متناول البشر الذين لا يستطيعون أن يروه ويلمسوه. ولكن مع يسوع صار الله قريباً منّا، بحيث نراه حين نرى الابن، ونعرفه حين نخبرنا يسوع عن الآب، على ما قال في صلاته الوداعية: "عرفتهم اسمك وسأعرفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم" (يو ١٧: ٢٦). وهكذا ترفع الكنيسة، بل العالم كلّهُ، المجد والشكران للكائن والذي كان والذي يكون إلى الأبد. آمين.

الخاتمة

انطلقنا من بولس الرسول وتعرّفنا إلى بعض المجدلات التي نقرأها في رسائله. ورُحنا إلى العالم اليوناني الذي منه استقت المدرسة البولسية ولا سيّما في الرسالة الأولى إلى تيموتاوس. ماذا قال اليونان عن آلهتهم، سواء "الأزليين" منهم أو الأبطال الذين "ألّهُوا" بعد أن كانوا مائتين؟ آلهة لا تعرف الموت ولا الفساد، لا تعرف التبدّل ولا التحوّل. لا بداية لها ولا نهاية. بعيدة عن البشر الذين لا يستطيعون أن يروها ولا أن يعرفوها. أخذ الفكر البولسي هذه الأسماء وهذه الصفات وجعلها في الإله الواحد الوحيد الذي هو نور لا يُدنى منه. ولكن إذ يقول المجتمع الذي انتشرت فيه الرسالة البولسية، إنّ هناك آلهة كثيرين وأرباباً كثيرين (١ كو ٨: ٥)، فالمسيحي يقول: "لنا إله واحد، الآب الذي منه جميع الأشياء، ونحن له. ولنا

المائتين، مع التابدّل واللاألم واللامحدودية، فإنّ "ابروسيثوس" يدلّ على صعوبة المعرفة والاقتراب. إذا كان اللامائت لا يستطيع الدنو من الله، فكيف يمكن أن يراه أو يعرفه؟

* ما رآه واحد من الناس^(٩٢). هذا المديح الأخير يعكس صفة سلبية عن الله: لا يُرى، هو فوق ما يستطيع الإنسان أن يشاهد، ممّا يعني سموّ الله على البشر.

وهكذا لاحظنا شكل المجدلة التقليدية في ١ تم ١٧: ١٥ - ١٦. بحثنا عن أرضية الأسماء والألقاب والصفات المنسوبة إلى الله، واطّلنا على مضمونها في إطار بلاغيّ من مبدأ "الفراة" الإلهية، على ما يقول هوشع النبي: "أنا إله لا إنسان، أنا القدّوس (= المنفصل) في وسطكم" (هو ١١: ٩).

(٩٢) Ον εἶδεν οὐδεὶς ἀνθρώπων



١ تم ٣: ١-٧، ٨-١٦

الخدم في الكنيسة

الأب نجم شهبان (ر.ل.م.)

أستاذ مادة الليتورجيا في جامعة الروح القدس، الكسليك

مقدمة

تُصنّف رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى تلميذه تيموتاوس في خانة الرسائل الرعائية، وذلك اعتباراً من القرن الثامن عشر^(١)، خاصةً وأنها تختلف من حيث اللهجة البولسية في كتابة رسائله؛ فهل هناك من كتبها له، كما نستشف ذلك من ٢ تم ٤: ١١، كأحد تلاميذه في القرن المسيحي الأول، مثلاً، كما يظن البعض، استناداً إلى ٢ تس ٢: ٢، وأع ٢٢: ١٨؟ ولكن، رغم هذه التخمينات، هناك بعض الشواهد على أنها بولسية بالاستناد إلى ٢ تم ١: ١٥-١٨؛ ٤: ٩-١٥؛ تي ٣: ١٢-١٤.

بالرغم من كل هذه الاحتمالات، يبقى الهم الأولي الانقلاب على النصّ بحد ذاته، فهذه الرسالة تحمل في

طياتها أبعاداً تعليمية، تحت القارئ على معرفة تصويب مسار الأمور الكنسية في بُعديها القانوني والليتورجي. كما يتحمّل هذا النصّ المختار (١ تم ٣) كلاماً وافراً حول كيان الكنيسة المؤلّف من الأسقف والشماسة والجماعة المؤمنة، لنحدّد من خلاله هويّة كلّ واحد في بعده القانوني الكنسي، وهذا ما نستشفّه من معطيات النصوص المتوازية في كتب العهد الجديد، بالإضافة إلى ما كتبه الجامع المحليّة والمسكونيّة حول كلّ واحد منهم على السواء، استناداً إلى هذه النصوص.

يشكّل نصّ الرسالة هذه مادّة مرجعيّة لتحديد مقاييس اختيار الشخص الذي سيتولّى مهمّة السلطة الأسقفية، لأنّ الكنيسة المؤمنة على وديعة الإيمان بشخص الأسقف، سليل الخلافة الرسوليّة، لا تستطيع أن ترفع إلى هذه الدرجة من ليسوا أهلاً لها،

لأنّهم سيواصلون عن جدارة دور الرسل الذين كلّفهم يسوع بالتعليم والتبشير وخدمة المحبة. وأمّا الشماسة الذين ينضوون هم أيضاً في سلك الكهنوت، فيؤلّفون مع الأساقفة كياناً واحداً لتكملة نشاط الكنيسة عبر الخدمة المزدوجة على الصعيدين الليتورجي والاجتماعي، الذي يتجسّد بأعمال الرحمة تجاه المعوزين.

يُقسم النصّ المختار للمعالجة (١ تم ٣) إلى ثلاثة أقسام: آ ٧-١، ثم آ ٨-١٣، وأخيراً آ ١٤-١٦. تأتي هذه القسمة نتيجة مضمون النصّ الذي يخبرنا عن الأساقفة وعن الشماسة، إذ يوصي بولس تلميذه تيموتاوس بأن ينتبه، كونه رئيس أساقفة كريت، لدى اختيار أحدهم للأسقفية أو للشماسية، لئلاّ يقع اللوم والإجحاف بحق الكنيسة في ما بعد. يعود لتيموتاوس السهر على

(١) La Bible de Jérusalem, traduite en français sous la direction de l'École biblique de Jérusalem, Nouvelle édition revue et corrigée, Cerf, Paris 1998, p. 1935.

عملية الانتخاب، وعليه تقع أيضاً مسؤولية هذا الاختيار الذي تم موافقته.

يتخذ هذا النص حيزاً واسعاً من اهتمام بولس الرسول عبر رسائله وعبر ما نقرأه في كتاب أعمال الرسل، لأنه يحمل هم تأسيس كنيسة مجيدة لا عيب فيها، ولهذا يشدد على كيفية الاختيار، وعلى التبشير والوعظ، في المراحل اللاحقة، لئلا ينال خدمته عيب ما. من هنا نرى أهمية التوقف عند التعابير ذات الأصل اليوناني في نصه لنعرف كيفية التقاط صدى الرسالة في قاموس الكنيسة، عبر نصوص السيامات الكهنوتية، لأن ما تقوم به الكنائس المحلية الشرقية خاصة لمربط شرطاً بتوجيهات بولس الرسول.

هل هناك من تكامل متواصل بين شخص الأسقف وشخص الشماس والجماعة المؤمنة؟ إذا كان كلام بولس الرسول يشمل كل الفئات، فيكون همّه الأول عندها وحدة الكنيسة، والسلطة بالنسبة إليه هو فعل رسالة

وخدمة، فتتوزع المسؤوليات انطلاقاً من الرأس وحتى الأعضاء^(٢)، كما نستخلصه من ١ تم ٣: ٢-٥ بالمقارنة مع ١ تم ٥: ١٧.

١. المعطيات المبدئية

لدينا بعض التعابير التي تشير إلى عملية الانتخاب والتكريس، نختصرهما بهاتين العبارتين: Χειροτονία، "الانتخاب بالقرعة"، وصم إمام، "وضع اليد"؛ ويعلل Payne-Smith التزاوج الحاصل بين هاتين العبارتين، ذات الجذور البيبليّة-الليتورجية، قائلاً: بأن وضع اليد (صم إمام) أصبحت ضمناً في عبارة Χειροτονία، ومن ثم أضحت Ordination في اللغة اللاتينية^(٣). وبالإمكان مطالعتها تحت هذه العبارة: ἐπίθεσις χειρῶν أي "وضع الأيدي"، كما وردت في نص مار بولس الرسول في رسالته الثانية إلى تلميذه تيموتاوس: صم إمام، إماماً، وصم إماماً، إماماً، "لذلك أذكرك أن تحيي وتذكّي موهبة الله التي فيك بوضع يدي" (١: ٦؛ رج عب ٦: ٢). وكذلك في

رسالته الأولى إلى تلميذه تيموتاوس إذ يقول: "ولا احصا حصصه إماماً، إماماً، وصم إماماً، إماماً، ولا تهمل الموهبة التي فيك، وقد وهبت لك بالنبوءة مع وضع أيدي الشيوخ عليك" (٤: ١٤). من المعروف اليوم بأن الهرمية الكنسية الكبرى تستهل بالدرجة الشماسية، فنبداً مع الشماس مرحلة جديدة في حقل الدرجات الكهنوتية، لأن الشماس ينال وضع اليد من الأسقف ومنه وحده، لأنه إنما كُرس ليكون خادماً للأسقف، ولهذا فالأسقف وحده يضع الأيدي عليه في خلال سيامته الشماسية^(٤)، ضمن الاحتفال بالذبيحة الإلهية، ويضع كتاب الديداخيه مقاييس لاختيار الشماسية قائلاً: 15.1- Χειροτονήσατε οὖν ἐαυτοῖς ἐπισκόπους καὶ διακόνους ἀξιούς τοῦ κυρίου, ἄνδρας πραεῖς καὶ ἀφιλαργύρους καὶ ἀληθεῖς καὶ δεδοκιμασμένους: ὑμῖν γὰρ λειτουργοῦσι καὶ αὐτοὶ τὴν λειτουργίαν τῶν

(٢) Id., p. 1936.

(٣) R. PAYNE-SMITH, *Thesaurus Syriacus*, t.II: L-Σ, Oxonii 1901, col. 2556.

(٤) *Testamentum Domini nostri Jesu Christi*, in syriaco et latino, éd. I.-E. RAHMANI II, Mogunti 1899, (édition anastatique 1968), Liber I. (٤) *De Institutione Diaconi*, XXXVII-XXXVIII. *De Ordinatione Diaconi*, pp. 90.92. *Kitab al Huda - Livre de la Direction, Code maronite du Haut Moyen Âge, Traduction du syriaque en arabe par l'évêque maronite David l'an 1059*. Publié pour la première fois du ms Vat. Syr. 133, avec indication des variantes des autres manuscrits, par P. FAHED, imprimerie maronite, Alep 1935 (١٩٣٥ حلب)، (بطرس فهد، كتاب الهدى، حلب ١٩٣٥)، chap. 56. Les édits des Empereurs: Constantin, Théodore et Léon, pp. 356-373, p. 261.

التي تحدّد إيمان الكنيسة الجامعة بالآب والابن والروح القدس، وبدور مريم، كونها والدة الله. كان الأساقفة المسؤولين المباشرين عن الاحتفال بالذبيحة الإلهية وعن جماعة الموعوظين والتائبين، ولكن مع امتداد الرعية الديموغرافي بدأ الكهنة ينوبون مكان الأساقفة في هذا الموضوع، وفي الأسرار الأخرى كالعماد، ولهذا يرد اسم الأسقف في النافور، في خلال التذكارات، وذلك للاعتراف برئاسته على الرعية، والكاهن ليس سوى مندوب من قبله. ونطالع بهذا الخصوص ما ورد في رسالة القديس الشهيد اغناطيوس الأنطاكي (١٠٧+) ما نصّه: "في ما يتعلق بالكنيسة، لا أحد يقوم بشيء على الإطلاق خارجاً عن الأسقف. فلتعتبر هذه الإفخارستيا وحدها جائزة بحيث يحتفل بها تحت رئاسة الأسقف، أو تحت رئاسة من يكلفه. فحيث يكون الأسقف، هناك تكون الجماعة، وأيضاً حيثما يكون المسيح يسوع، هناك تكون الكنيسة الكاثوليكية. إنه من غير الجائز، خارجاً

الشماسية، أنا فيلبس أقرر: ٢- أيها الأسقف، إنك ترسم شماساً بوضع يديك عليه بحضور الإكليروس والشماسية، وتصلّي قائلاً^(٦). ربّما استقى النصّ هذه المقاييس من نصّ رسالة بولس الأولى إلى تلميذه تيموتاوس (٣: ١-١٣)، وبه تأثّر أيضاً كتاب عهد الربّ (عدد ٢٣)^(٧). إن الكهنة، خلفاء "المجمع الكهنوتي" الأول الذي منه انبثقت شخصية الأسقف، كانوا يؤثفون فئة الشيوخ في الكنيسة (يع ٥: ١٤)، ولكنهم ارتبطوا بالأسقف وكانوا خاضعين له إدارياً كما روحياً، لحسن سير الأمور في الجماعة. كان الكهنة كجسم كنسي استشاري دائم (συνέδριον) تجاه الأسقف^(٨)، كما كان بمثابة إكليل ومجلس الشيوخ في الكنيسة^(٩). يشترط على من سينال الدرجة الكهنوتية أن يتحلّى بالصفات التي ذكرها بولس الرسول في رسالته إلى تلميذه تيموتاوس (١ طم ٣)، كما الاعتراف بالمجامع المسكونية الأربعة الكبرى،

προφητῶν καὶ διδασκάλων. 2- μὴ οὖν ὑπερίδητε αὐτοῦς· αὐτοὶ γὰρ εἰσιν οἱ τετιμημένοι ὑμῶν μετὰ τῶν προφητῶν καὶ διδασκάλων. ١: ٥١- "وهكذا انتخبوا (χειροτονήσατε) لكم أساقفة وشماسية، رجالاً مختبرين جديرين بالربّ ودعاء، سالكين في نزاهة واستقامة، لأنهم يؤثفون لكم خدمة الأنبياء والمعلمين. ٢- فلا تحقروهم لأنهم رجال موقرون شأنهم شأن الأنبياء والمعلمين"^(٥).

كذلك تشهد القوانين الرسولية على شيوع استعمال العبارة اليونانية، ضمن العمل الكنسي الذي يتراوح بين الاختيار والتكريس، كما نقرأ:

17.1- "Περὶ δε χειροτονίας διακόνου εἶπε Φίλιππος διὰ τάσσομαι. 2- Διάκονον καταστήσεις ὡ ἐπίσκοπε, ἐπθεις αὐτῷ τὰς χεῖρας, παρεστῶτός σοι παντός τοῦ πρεσβυτερίου καὶ τῶν διακόνων, καὶ ἐπευξάμενος εἶπεις. ١. ٧١- "في ما يخصّ سيامة

(٥) الديداخيه، أقدم النصوص المسيحية، تعريب جورج نصور ويوحنا ثابت، الكسليك ١٩٧٥، ص ٢٥. وكذلك يمكننا مطالعة ذلك في كتاب تعليم

الرسول، المعروف بكتاب الديداخيه، بحسب اللغة اليونانية: P.G.M.R., Διδαχὴ τῶν Δωδεκά Αποστόλων, ἡτοι Διδαχὴ Κυρίου Δια

τῶν Δωδεκά Αποστόλων, La Dottrina dei Dodici Apostoli, XV, p. 77, εν Συρο 1910.

(٦) القوانين الرسولية (٣٨٠)، الكتاب الثامن، "في المواهب والسيامات والقوانين الكنسية"، ١٧-٢٠، أقدم النصوص المسيحية، سلسلة النصوص الليتورجية ٦: تعريب جورج نصور، الكسليك ٢٠٠٦، ص ٣٩٦.

(٧) عهد الربّ، أقدم النصوص المسيحية، سلسلة النصوص الليتورجية ١، تعريب جورج نصور ويوحنا ثابت، الكسليك ١٩٧٥، ص ١٥٧.

(٨) M. RIGHETTI, Storia Liturgica IV: Sacramenti, Sacramentali, Indici, ed. Ancora, 2^a ed., Milano 1998, p. 402.

(٩) القوانين الرسولية (٣٨٠)، الكتاب الثاني ٢٨: ٤٤؛ الكتاب الثامن ٤٦: ١١، ص ٨٢-٨٣؛ ٤٢٥.

٢. غط النص

يتكوّن النصّ من جملة عناصر قانونية وليتورجية، تُعتبر كمفاتيح لقراءة معطياته اللاهوتية والروحية، لأنها تشكّل بحد ذاتها مركزاً لانطلاقة تأسيس الدرجات الكهنوتية، التي تُعتبر كخِدم في الكنيسة، ترتبط مباشرة بأصحاب الدرجات الكهنوتية، وخاصة الكبرى الأولى الأساسية، أي الشمّاس والأسقف. نجد أقدم ذكر للدرجات الكهنوتية المقدّسة في رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبّي: "من بولس وتيموتاوس، عبدي المسيح يسوع، إلى جميع القديسين في المسيح يسوع، الذين في فيلبّي، مع الأساقفة والشمّاسة" (١: ١). كما نلاحظ أنّ هناك أنماطاً عديدة لذكر الهرمية الكنسية في كتب العهد الجديد؛ فهي ولدت من الخلافة الرسولية وإليها تعود في كل شيء، وهذه بعض المراجع الأساسية، التي تطلّعنا على وجود الهرمية الأولى المثلثة: الأسقف، الكاهن، الشمّاس: ١ تم ٣: ٨، ١٠، ١٢؛ يع ٥: ١٤؛ ١ يو ٢: ١٢-١٤؛ ١ تم ٥: ١٩؛ ١ بط ٥: ١؛ ٢: ٢٠، ١٨، ٢٥. ولكن بطرس

من الممكن اعتبار تيموتاوس وتيطس، تلميذَي بولس الرسول، كأول رئيسي أساقفة في الكنيسة. فهما أسقفًا الأقاليم الكبرى، الأول في آسيا الصغرى والثاني في جزيرة كريت. تكلم عليهما مجمع نيقيا (٣٢٥) في القوانين الرابع والخامس والسادس^(١١)، كما ذكرهما مجمع أنطاكية (٣٤١)، حيث كرّس لهما سبعة قوانين^(١٢)، مانحاً إياهما حق المرجعية القانونية في معالجة شؤون الأبرشيات بحيث يقيم في المدينة، في الكرسي الأكبر، وقد أخذ البطريرك هذا الدور رويداً رويداً. يجب أن يتحلّى المختار للسيامة بالصفات التي ذكرها بولس الرسول في رسالته الأولى إلى تلميذه تيموتاوس (٣: ١-١٣)، إذ يجب على الذي يتقدّم من هذه الدرجات المقدّسة أن يكون جديراً بالرب، كما ورد في كتاب الديداخيه (١٥: ١-٢). هكذا تكون سيامة الشمّاس والكاهن والأسقف صحيحة وقانونية ولا مجال لاعتبارها باطلة في حال استوفت الشروط التي وضعتها الكنيسة منذ القديم وحافظت عليها حتى اليوم.

عن الأسقف، أن يحصل معمودية أو عمل رحمة، ولكن الذي يقرّره يكون وحده مقبولاً أمام الله أيضاً^(١٣).

يُعتبر الأساقفة خلفاء الرسل الذين اختارهم الرب يسوع، وحملهم مسؤولية كبيرة تتوزّع في اتجاهات متعدّدة، بهدف السهر على الكنيسة وبنائها. ولقد حدّد بولس الرسول هوية الأسقف في رسائله الرعائية إلى تلميذه تيموتاوس وتيطس، حيث يرى في الأسقف مدبر بيت الله، "الذي هو كنيسة الله الحي" (١ تم ٣: ١٥)، فيقوم بعمله كوكيل لله (تي ١: ٧؛ رج ١ كو ٤: ١؛ لو ١٢: ٤٢-٤٨). نرى في نصّ الفصل الثالث من الرسالة إلى تيموتاوس مرجعاً كتابياً يفيدنا تحديد شخصية الأسقف، وقانونية تكريسه، والصفات التي يترتّب عليه التحلّي بها ليستحقّ نوال الدرجة المقدّسة، وبالتالي يصبح راعياً لقطيع المسيح (رج ١ تم ٣: ١-٧)، كما قال بولس أيضاً: "فاهتمّوا بأنفسكم وبكل القطيع الذي أقامكم الروح القدس عليه أساقفة، فترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه" (أع ٢٠: ٢٨).

R. JOHANNY et alii, Le point théologique 17, dans *l'Eucharistie des premiers Chrétiens*, aux Smyrniotes, éd. Beauchesne, Paris 1976, (١٠) p. 66.

Histoire des Conciles Œcuméniques 1, Nicée et Constantinople, par O. DE URBINA, éd. de l'Orante, Paris 1963, "La dignité du clergé" (١١) can. 1,2,3,9,10,17, p. 105-109.

C.-J. HEFELE, *Histoire des Conciles*, t.I.1.2. Première partie: Le concile de Nicée (AD 325), pp. 386-632; deuxième partie: Le concile d'Antioche en encœniis (AD 341), pp. 702-733, éd. Letouzey et Ané, Paris 1907, pp. 702-733. (١٢)

الرسول يقول بأن هناك الكهنوت العام، أو الكهنوت الملوكي (١ بط ٥: ٩)، إضافة إلى الكهنوت الخدماتي، المرتبط بالهرمية الكنسية الكبرى.

وكما أوردنا أعلاه، يقسم النص اليوناني^(١٣) ١ تم ٣ الذي نعالج إلى ثلاثة: ١ آ-٧؛ ٨ آ-١٣؛ ١٤ آ-١٦.

٣. ١-٧: مواصفات الأسقف

بالعودة إلى نصوص من القرون المسيحية الأولى، يستجد ذكر الأساقفة والشماسية في بعض الكتب التي يرصدى رسائل بولس الرسول فيها مدوياً، لأنها تحبذ تعزيز هذه المقاييس التعليمية لمزيد من النظام والمسؤولية في آن معاً داخل الجماعة. من بين هذه الكتب نذكر رسالة إكليمنضس إلى الكورنثيين، حيث يقول: "إن [الرسول]، إذ بشرنا في المدن والأرياف، امتحنوا بواكيرهم، أي خلفاءهم في الروح

القدس، وأقاموهم أساقفة وشماسية للمؤمنين (١: ٤٢). لقد أقاموا هؤلاء الذين ذكرناهم ووضعوا بعد ذلك هذه القاعدة وهي أن رجالاً آخرين ممتحنين يخلفونهم بعد مماتهم في خدمتهم (٤: ٤). من خلال هذه الأسطر الوجيزة، يتضح لنا أن الأسقف هو شخص منتخَب بعد الامتحان، وهو باكورة رسولية، إذ يخلف الرسل بعد رحيلهم بالموت، ليتابعوا الخدمة الكنسية الموكولة إليهم.

أت كلمة "أسقف" عن الأصل اليوناني، *ἐπίσκοπος*، من فعل *ἐπισκοπέω*، وهو يعني "راقب، نظر من فوق، أشرف على، دبر". والأسقف هو المشرف بشكل عام على الأمور التي تدور في الأبرشية كافة، دون الدخول في التفاصيل التي يهتم بشأنها الكهنة ومن يعاونهم. ونجد هذه الكلمة في اللغة السريانية تحت أشكال عديدة: *ܐܦܝܫܩܡܐ*، *ܐܦܝܫܩܡܐ*، *ܐܦܝܫܩܡܐ*، كما نجدها في اللغات الأجنبية *episcopus - évêque*، وقد

وصلت إلى اللغة الفرنسية تحت عبارة *évêque*، وتعني المدبر شؤون الأبرشية في المدين^(١٤). كما يمكن تسميته "مطران"، ولكن هذه التسمية هي تأويل لكلمة *μητροπολις* التي تعني الشيء نفسه، ويمكننا قراءتها في السريانية تحت أشكال عديدة أيضاً *ܡܬܪܢܐ*، *ܡܬܪܢܐ*، *ܡܬܪܢܐ*^(١٥).

يُعتبر الأساقفة خلفاء الرسل الذين اختارهم الرب يسوع، وحملهم مسؤولية كبيرة تتوزع في اتجاهات متعددة، بهدف السهر على الكنيسة وبنائها. ولقد حدد بولس الرسول هوية الأسقف في رسائله الرعائية إلى تلميذيه تيموتاوس وتيطس، حيث يرى في الأسقف مدبر بيت الله، الذي هو كنيسة الله الحي (١ تم ٣: ١٥)، فيقوم بعمله كوكيل لله (تي ١: ٧؛ رج ٤: ١؛ لو ١٢: ٤٢-٤٨). نرى في نص الفصل الثالث من الرسالة إلى تيموتاوس مرجعاً كتابياً يفيدنا في تحديد شخصية الأسقف، وقانونية تكريسه، والصفات التي يترتب عليه التحلي بها ليستحق

(١٣) *The Greek New Testament, Fourth Revised Edition Dictionary*, edited by B. ALAND, K. ALAND, J. KARAVIDOPOULOS, in cooperation with the Institute for New Testament Textual Research, Münster/Westphalia, Deutsche Bibelgesellschaft, United Bible Societies, Stuttgart 1994, TIMOTHEON A, 3, 1-16; pp. 716-718.

(١٤) تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، الفصل الثالث، "أدب الآباء الرسوليّين أو الأوليّين، إكليمنضس أسقف رومة"، الجزء الثاني، "الدواء الناجع الذي يصفه إكليمنضس لكنيسة رومة في بلبالها"، وضعه كيرلس سليم بسترس، حنا الفاخوري، جوزيف العبسي، منشورات المكتبة البولسية، طبعة أولى، جونية ٢٠٠١، ص ١٢٥.

(١٥) R. PAYNE-SMITH, *Thesaurus Syriacus*, T.I: ٣ - ١, Oxonii 1879, col. 342.

Ib. col. 2086.

نوال الدرجة المقدسة، وبالتالي يصبح راعياً لقطع المسيح (رج ١م ٣: ١-٧)، كما قال بولس أيضاً: "فاهتموا بأنفسكم وبكّل القطيع الذي أفاكمم الروح القدس عليه أساقفة، فترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه (أع ٢٠: ٢٨)".

يلعب الأسقف دورَ الملقن (docteur)، فيعلم أبناء الكنيسة أصول العقيدة الكنسية وحدود الإيمان، ويسهر على تربيتهم على أخلاق وأفكار المسيح (رج فل ٢: ٥)، لأنه يمثل الكنيسة "الأم والمعلمة" (١٧)، ولهذا السبب يطلب صاحب كتاب الديداخيه (نهاية القرن الأول ميلادي) إلى المؤمنين احترام المعلمين الحقيقيين لأنهم يسهرون على تربيتهم وتثقيفهم وصيانة نفوسهم، وشأنهم شأن الأنبياء والمعلمين (١٨) (رج أع ١٣: ١)، وهذا ما نستلهمه من أفكار رسول الأمم (١م ١: ٣: ١٦، ٩: ١٦، ٢٠: ٢٢، ١٣: ١٤-١٤: ١٧-١٤: ١). وإذا تشبّه الأساقفة بالرسل، من حيث الرعاية (١بط ٢: ٢٥) والتدبير والتعليم (٢ تم ٤: ٢)، فهم يلعبون أيضاً دورهم كرسل اختارهم الروح القدس للرسالة (أع ١٣: ٤).

ويذكر إكليمنضس الروماني (١٠١٤) الأساقفة كرسل في البيعة لأنهم هم الخلفاء الحقيقيون لتلاميذ يسوع (١٩)، لهم الدور الأساسي في ترتيب أمور البيعة والسهر على تقدمه الذبيحة وحفظ النظام في ما بين أبناء كنيسته. فهو بذلك العمل يتمتع بالطابع الكهنوتي الأبوي، ويمثل النقطة المحورية في وحدة الكنيسة.

يقول اغناطيوس الأنطاكي (١١٠٤) إن الأسقف كالمسيح في ما بين جماعة الكهنة (collège des presbytres)، وحضوره ليس سوى ضمانه لوحدة الكنيسة وللحفاظ على الهرمية التي أرادها الله (٢٠). فانطلاقاً مما تقدم يتحمل الأساقفة أعباءً كبيرة، ليس في مجال التعليم والوعظ بهدف حياة روحية مع الله وحسب، بل لحماية المؤمنين من البدع التي تفتك بإيمان المؤمنين، فيذهب تعب المسؤولين سدى. إن مسؤولية الأساقفة لكبيرة جداً، إذ عليهم أن يرعوا قطع الله، ويخدموا على مثال المسيح يسوع الذي جاء ليخدم لا ليخدم (مت ٢٠: ٢٨)، ويقربوا قرايين عن الشعب

للكران، وغفران الخطايا، وقيموا كهنة وشمامسة في البيعة كما يليق بالله.

حافظت الكنيسة على وجود الأساقفة، وما المجامع المسكونية في القرون المسيحية الأولى سوى برهان على هذا الدور الكبير الذي لعبوه، بحيث حدّدوا عقيدة الكنيسة في الآب والابن والروح القدس والعذراء مريم، كما لم ينسوا الناحية العملية والتنظيمية من خلال المجامع المحلية، وهذا ما تواصل في تاريخ الكنيسة عبر العصور، ولهذا السبب يؤلف الأساقفة حتى اليوم المرجعية الأولى في الرعاية والتدبير والتنظيم الداخلي للكنائس. يُختصر دور الأساقفة في مهام ثلاث، قرأتها الكنيسة من خلال حياة يسوع: النبي، كونه كلمة الله (يو ١: ١)، والملك (لو ١: ٣٢-٣٣)، والكاهن (عب ٥: ٥)؛ هكذا الأساقفة يلعبون هذه الأدوار الثلاثة في مسؤولياتهم تجاه المؤمنين، فهم يعلمون، ويدبرون ويقدسون. ويختصر كتاب عهد الرب هذه الأدوار في صلاة وضع اليد على المنتخب، المعد ليصبح أسقفًا (٢١). هناك الكثير من

(١٧) يوحنا الثالث والعشرون، تعليم الكنيسة الاجتماعي: أم ومعلمة (١٩٦١)، منشورات حركة عدالة ومحبة، ٢٠٠٠.

(١٨) الديداخيه، ٢/١٥، ص ٢٥.

(١٩) إقليمنس الروماني، أقدم النصوص المسيحية، رقم ٤٠-٤٤، تعريب جورج نصور، الكسليك ١٩٧٥ ص ١٥-٥٥.

(٢٠) Aux Magnésiens 6,1; Aux Tralliens 2,1-2; 3,1.

(٢١) كتاب عهد الرب، تعريب يوحنا تابت، أقدم النصوص المسيحية، رقم ٢١، ص ٥٢١-٦٢١.

الكلام حول الأسقف، ولكن العناصر الأساسية الجامعة ما بين الأساقفة في الكنيسة الشرقية والغربية هي التي ما زالت قائمة، وأما الفوارق والنوادر فتخضع لحكم التطور والحضارة مع مرور الزمن.

لقد جاء في المجمع الفاتيكاني الثاني المسكوني (١٩٦٢-١٩٦٥) بأن الأساقفة هم خلفاء الرسل، في حفظ الوصايا (مت ٢٨: ١٨؛ مر ١٦: ١٥-١٦؛ أع ٢٦: ١٧)، وفي الشهادة (أع ١: ٨؛ ٢: ٩؛ ١٥: ١٥) وهذا العمل هو فعل خدمة - دياقونيا (أع ١٧: ١؛ ٢٥: ٢١؛ ١٩: ١١؛ ١٣: ١؛ ١٢: ١)، وهو عمل قانوني بواسطة العادات الشرعية. بالإضافة إلى هذه الثوابت، يتمتع الأساقفة أيضاً بوظيفة التقديس، كونهم متشحيين بملء الدرجة الكهنوتية، والقيّمون على توزيع نعمة الكهنوت الأعلى. ويشدد المجمع على الطابع الأسراري الذي يرافق عمل الأساقفة، وبخاصة الإفخارستيا، محور الأسرار. ثم هناك الوظيفة التعليمية، وهي تقتضي التبشير بالإنجيل، أي بالإيمان بيسوع المسيح، ليؤسسوا تلاميذ له، وليعملوا بموجبه

بهدي الروح القدس (مت ١٣: ٥٢)، ليحموا القطيع من الضلال (٢ تم ٤: ١-٤)، لذلك عليهم أن يحافظوا على الشركة مع البابا، بصفته الراعي الأسمى ومعلم كل المؤمنين، والذي يثبت إخوته في الإيمان (لو ٢٢: ٣٢). ثم هناك وظيفة الأساقفة الراعية، بها يدبرون كنائسهم الخاصة الموكولة إليهم، ذاكرين أن الأكبر هو الخادم (لو ٢٢: ٢٦-٢٧)، ولهذا عليهم أن يتشبهوا بالراعي الصالح، الذي يذلل نفسه عن الخراف (يو ١٠: ١١)، لأنه أتى ليلخدم، بل ليلخدم (مت ٢٠: ٢٨؛ مر ١٠: ٤٥) (٢٣).

إنطلاقاً من هذه المعطيات، تصبح مواصفات اختيار الأسقف مسألة ذات مسؤولية عالية الشأن، بحيث يجب ألا يختار رجل للأسقفية ما لم يكن قد توفرت لديه كل هذه المعطيات الأساسية المطلوبة. وفي هذا المجال يقرأ ابن العبري (١٢٢٦-١٢٨٦) اختيار الأسقف وتكريسه في ثماني مراحل هي: ١- الأومولوجية (٢٣)، يقرأها معلناً إيمانه السالم؛ ٢- حضور أسقفين أو ثلاثة (مت ١٨: ٢٠)؛ ٣- تقديم نفسه لتدبير رعية المسيح؛ ٤- قراءة الإنجيل

عليه للخدمة وللإعتراف بالمسيح (مت ١٦: ١٦)؛ ٥- قراءة إنجيل الراعي الصالح من قبله (يو ١٠: ١١)؛ ٦- فتح الإنجيل فوق رأسه، علامة بسط يدي يسوع عليه، كما في يوم الصعود (لو ٢٤: ٥٠)؛ ٧- يأخذ العكاز إشارة إلى سلطانه؛ ٨- التطواف به من قبل الأساقفة مع ترداد العبارة، "إنه مستحق"، ثلاث مرات (٢٤). كل هذه المعطيات الكتابية، التي قرأها آباء المجامع المسكونية والمحلية، وآباء الكنيسة، ساهمت في تعزيز لاهوت الأسقفية، وفي معرفة قانونية العمل الكنسي، التي لا بد منها لقيام الكنائس وتأسيس الأديار وتعزيز الحياة المسيحية، وما وجود الأساقفة سوى ضمانته لكل هذه المعطيات، كونهم خلفاء الرسل، ويتمتعون بالسلطان الذي نالوه من معلمهم، الرب يسوع (مت ١٨: ١٨).

٨١.٤-١٣:

مواصفات الشماس

إن كلمة شماس ذات جذر سرياني مصعلا - مصععلا من فعل مصع أي "خدم" أو "عبد الشمس"، ومن كان يعبد

(٢٢) المجمع الفاتيكاني الثاني المسكوني، الوثائق المجمعة، دستور عقائدي في الكنيسة، ٢٤- "الخدمة الأسقفية"، ٢٥- "وظيفة الأساقفة التعليمية"، ٢٦- "وظيفة الأساقفة التقديرية"، ٢٧- "وظيفة الأساقفة الراعية"، نقلها إلى العربية عبده خليفه، يوسف بشاره، فرنسيس البيسري، طبعة رابعة منقحة ١٩٩١، ص ٨١-٨٨.

(٢٣) ذات أصل يوناني ομολογία، وهي تعني "وحدة العقيدة"، أي "الإيمان الواحد".

(٢٤) مار غريغوريوس أبي الفرج ابن العبري، مفريان المشرق، منارة الأقداس، الفصل الأول، "في الخدمة التي بواسطة الشرطونات"، وفيه ستة مقاصد، المقصد الأول، "في رسامة رئيس الكهنة"، عرّبه عن السريانية ديونيسيوس بهنام ججاوي، أعدّه وقدم له غريغوريوس يوحنا إبراهيم، دار ماردين للنشر، حلب - سوريا ١٩٩٦، ص ٤٣٧-٤٣٨.

يُحافظ عليه بسبب عدم الحاجة إلى العدد سبعة أو لعدم قدرة الكنيسة على تأمين حاجاتهم، خاصة في روما، في عهد البابا فيجيليوس (٥٥٠) (٢٩).

ذكر مجمع أنقرة (٣١٤) الشماسية عندما تكلم في القانون الثاني عن عدم السماح للشماسية الذين ضحوا للأصنام في زمن الاضطهاد، من ممارسة عملهم كشماسية، ولكنهم يحتفظون بمقامهم فقط، فلا يقدمون الخبز والخمر (للمحتفل أو للمؤمنين) ولا يعطون أبداً. ويحق للأسقف إذا ما رأى توبتهم واضحة بأن يرجعهم إلى عملهم المألوف. وفي القانون العاشر، يسمح المجمع للشماسية بالزواج، شرط أن يعلنوا عن رغبتهم قبل وضع اليد، لأنه، إن لم يعلنوا عن رغبتهم بالزواج، وقبلوا وضع اليد، يصبح عقد الزواج بعد ذلك مستحيلاً. وقد استشهد مجمع قيصريّة الجديدة في القانون الأول من أعماله بمجمع أنقرة المذكور أعلاه بهذا الخصوص (٣٠).

في مجمع نيقيا (٣٢٥) يتكلم الآباء

(٧-١) على المؤسسة الشماسية كان القديس إيريناوس (٢٠٢+) (٢٩). ربما مثل هذه المؤسسة كان موجوداً في المجتمع اليهودي قبل زمان الرسل، ولكن ما كتبه لوقا يظهر هؤلاء الرجال السبعة كمؤسسة جديدة لم يسبق لها مثيل، وبالتالي الرسل هم الذين ابتكروها كجسم خدماتي في الكنيسة، مع العلم أن حركات اجتماعية كهذه كانت موجودة، ولكنها غير معروفة، والفضل يعود لكتاب أعمال الرسل الذي كتبه لوقا حوالي سنة ٨٠ م.

حاولت الكنيسة الحفاظ على الرقم "٧" في عدد الشماسية في الكنائس المحلية، ظناً منها أنه ذات رمزية مقدسة، وقد تبنته الكنيسة الأولى لهذا السبب؛ فسبعة كان عدد الشماسية في روما، زمان البابا كورنيليوس (٢٥١)، والبابا سيكستوس الثاني (٢٦١+) (٢٧)، وهذا ما ردّه مجمع قيصريّة الجديدة - Néocésarée (٣١٤-٣٢٥) في القانون ١٥ (٢٨)، مع العلم أن هذا العدد لم

الشمس يُسمى "عشمي". يقرب هذا الترابط بين الخدمة والعبادة المسافة بين عمل الشماس المسيحي والشماس الوثني من حيث الموضوعية. وأما في التقليد الغربي فكانت كلمة "شماس" مقتبسة عن الأصل اليوناني: διάκονος، أي "الخادم"، فكانت في الإنكليزية deacon، وفي الفرنسية diacre، وفي الإيطالية diacono، وفي الألمانية diakon؛ ونقرأ هذه العبارة في بدايات رسائل مار بولس على الإطلاق ليعرف عن نفسه، كرَسُول يسوع المسيح (١ كور ١: ١٠؛ ٢ كور ١: ١٠؛ غل ١: ١٠، ١٥؛ أف ١: ١٠؛ كول ١: ١٠؛ ١ تم ١: ١٠؛ ٢ تم ١: ١٠؛ تي ١: ١٠) وكعبد خادم للذي اختاره (روم ١: ١٠؛ فل ١: ١٠). إن هذا التقارب بين الخدمة والرسالة وارد بوضوح في كتاب أعمال الرسل (١: ٢٥) (٢٥).

تعود الدرّجة الشماسية إلى عهد الرسل، وتعتبر الأقدم بعد درجة الأساقفة الذين يؤلفون خلافة الرسل. فأول من طبق نص أعمال الرسل (٦):

(٢٥) Cf. De Lorenzi 1979, pp. 404-453.

(٢٦) *Adversus haereses* (3, 12, 10), cf. U. FALESIEDI, *Le diaconie, I servizi assistenziali nella Chiesa antica*, in *Sussidi Patristici* 8, Istituto Patristico "Augustinianum", Roma 1995, p. 49.

(٢٧) M. RIGHETTI, *Storia liturgica IV: Sacramenti, Sacramentali, Indici*, ed. Ancora, 2^a ed. 1998, p. 397.

(٢٨) C. J. HEFELE, *Histoire des Conciles*, t. I.1. p.334.

(٢٩) M. RIGHETTI, *Storia liturgica*, p. 397.

(٣٠) C. J. HEFELE, *Histoire des Conciles*, t. I, Concile de Néocésarée, p. 327.

في القانون ١٨ عن تنظيم أمكنة الشمامسة في ما بين الدرجات الكهنوتية واحترام المقام، ويوجب على الشمامسة البقاء في أمكنتهم وعدم التقدّم على الكهنة، فارضاً بذلك عليهم تناول القربان بعد الكهنة، وليس قبلهم، ثمّ عدم إعطاء الكهنة القربان، لأنّ هذا مخالف لدرجتهم وبالتالي للقانون^(٣١).

مع الشماس نبدأ مرحلة جديدة في حقل الدرجات الكهنوتية الكبرى المقدسة، لأنّ الشماس ينال وضع اليد من الأسقف ومنه وحده، لأنّه إنّما كرّس ليكون خادماً للأسقف، ولهذا فالأسقف وحده يضع الأيدي عليه في خلال سيامته الشماسية، في خلال الذبيحة الإلهية. يضع كتاب الديدأخيه مقاييس لاختيار الشمامسة قائلاً: ١٥: ١- "وهكذا انتخبوا لكم أساقفة وشمامسة، رجالاً مختبرين جديرين بالربّ ودعاء، سالكين في نزاهة واستقامة، لأنّهم يؤدّون لكم خدمة الأنبياء والمعلّمين. ٢- فلا تحتقروهم لأنّهم رجال موقرون شأنهم شأن الأنبياء والمعلّمين"^(٣٢). ربّما استقى

هذا النصّ هذه المقاييس من نصّ رسالة بولس الأولى إلى تلميذه تيموتاوس (٣: ١-١٣)، وبه تأثّر أيضاً كتاب عهد الربّ (عدد ٣٣)^(٣٣).

لأجل سيامة الشماس يذكر هيبوليتس الروماني (٢١٨) بعض التّحديدات التي لازالت متّبعة في الكنيسة جمعاء ولو بشكل عام، وهي: ٩- "أنّ الأسقف وحده الذي يجب أن يضع الأيدي على المدعو ليصبح شماساً، لأنّه لا يُرفع إلى درجة الكهنوت، ولكنه يبقى تابعاً للأسقف وقائماً على خدمته ومهتماً بأموره. هو لا يشترك في مجلس مشورة الإكليروس، ويحصر عمله في تصريف الأمور العادية وإحاطة الأسقف بما نشأ من قضايا ضرورية. هذا وإنّه لا يتلقّى الروح الذي يهيمن على مجمع الكهنة في شركتهم بالروح، بل يقوم بما يُعهدُ إليه تحت سلطة الأسقف"^(٣٤).

وجب على الشماس منذ القديم الاهتمام بالموائد (أع ٢: ٦-٣) وبالكلمة؛ فكتاب أعمال الرّسل الذي يذكر على أيّ أساس اختيار الشمامسة، لا ينفي ما

قام به إسطفانوس وفيلبس من تبشير ووعظ وشهادة (أع ١٣: ٧-١٠، ١٣: ٤-١٣). يقول كتاب عهد الربّ (القرن الخامس) بهذا الصّدّد: "٣٤- أمّا هو (الشماس) فليتمّ في البيعة ما هو واجب، ولتكن خدمته كما يلي: أولاً، ليعمل بما يأمره الأسقف وحسب، كالتبشير مثلاً. ليكن مرشداً لجميع الإكليروس ورمزاً للبيعة، يخدم المرضى والغرباء، ويُسعف الأرامل. ليكن أب الأيتام، يطوف كلّ بيوت المحتاجين، لئلاّ يوجد أحد في ضيق أو مرض أو شقاء. وليطّف بيوت الموعوظين؛ ليثبت المتردّدين؛ ويعلم الجّهلة"^(٣٥).

تجدر الإشارة إلى أنّ الكنيسة الغربية عرفت شخصية الشماس في العمل الاجتماعي أكثر منه في العمل الليتورجي، فطغى على عمله طابع عمل الرّحمة تجاه الفقراء، والمعوزين، والمضطّهدين، والخبوسين، كما نقرأ في قصّة حياة القديس لورنسيوس (٢٥٨+)، شماس البابا سيكستوس الثّاني الشّهيد (٢٥٧-٢٥٨)، وفي حياة القديس فرنسيس الأسيزي (١١٨٦-١٢٢٦). تتمّ سيامة الشماس، إجمالاً نهار

Id., Concile de Nicée, pp. 610-611. (٣١)

(٣٢) الديدأخيه، ص ٢٥.

(٣٣) عهد الربّ، ص ١٥٧.

(٣٤) هيبوليتس الروماني، ص ٣٨-٣٩.

(٣٥) عهد الربّ، ص ١٥٧.

ويوزعوه، وأن يساعدوا في مباركة الزواج باسم الكنيسة وأن يباركوه، وأن يحملوا الزاد الأخير للمنازين، وأن يقرأوا الكتاب المقدس على المؤمنين، وأن يعلموا الشعب ويعظوه، وأن يرثسوا عبادة المؤمنين وصلاتهم، ويكونوا خدمة أشباه الأسرار، وأن يرثسوا صلوات الجنائز والدفن. وإذا كرسوا لأعمال المحبة والإدارة، فليتذكر الشمامسة تنبيه الطوباوي بوليكر بوس: "ليكونوا رحماء غيورين ويسيروا حسب حقيقة الرب الذي أصبح خادماً للجميع". وبما أن القيام بهذه المهمة التي هي ضرورة جداً لحياة الكنيسة هو صعب في مناطق عديدة حيث النظام المتبع في الكنيسة اللاتينية، فإنه من الممكن أن تعود الشمامسة في المستقبل إلى ما كانت عليه، أي درجة في السلطة التسلسلية قائمة بذاتها ودائمة. فبالإضافة إلى المجالس الأسقفية المحلية ذات الصلاحيات بأشكالها المتنوعة، يعود أن تقرر، بموافقة الخبر الأعظم نفسه، هل من الملائم أن يقيموا شمامسة وأن يعينوا

على ذلك المرجع نفسه ومخطوطات سيامته العديدة.

هناك العديد من المراجع التي تتكلم عن الشماس في حقل الجامع المحلية والمسكونية، اخترنا بعض أهم ما جاء فيها في العصور المسيحية القديمة، ولكن القرارات الكنسية الأخيرة هي التي جعلنا نصغي إلى قراءة جديدة حول الشماسية في الكنيسة الكاثوليكية. ففي المجمع الفاتيكاني الثاني المسكوني قرر الآباء ترميم الشماسية لما لها من دور رعائي وإنساني وليتورجي؛ يقول النص^(٣٧): "وفي الدرجة الدنيا^(٣٨) من السلطة التسلسلية يقوم الشمامسة الذين يقبلون وضع اليد "للكهنوت بل للخدمة"^(٣٩). إنهم، وقد عضدتهم النعمة السرية، يخدمون شعب الله بالشركة مع الأسقف وجماعة الكهنة وذلك في القيام بالطقوس، وبالكراسة ونشر المحبة. وحسب الترتيبات التي تأخذها السلطة المختصة، يعود للشمامسة أن يمنحوا سر المعمودية احتفالياً، وأن يحفظوا القربان

أحد أو نهار عيد، وفي خلال سيامته يُعطى ثياب الشماسية: القميص، والزنار، والبطرشين. فالقميص يرمز إلى شيتين: إما إلى اعتبار الشماس كمولود جديد، وقد لبس هذا الثوب الأبيض ليتشبه بالمعمدين الجدد الذين كانوا يلبسون الثوب الأبيض بعد عمادهم مدة أسبوع، وإما إلى اعتبار الشماس كملاك متشح بالنور، على مثال خدام النار والروح، الكاروبيم والسارافيم الذين يقفون على قرون المذبح للخدمة.

يقول البطريرك إسطفانوس الدويهي (+١٧٠٤): إن الكتونة التي يرتديها الشماس تدل على ثياب الملائكة، والهلالة على أجنحتهم؛ ولبس الكتونة يفهم الشماس أنه يجب أن يكون طاهراً، وبالهلالة التي يتزخر بها يجب أن يكون عفيفاً، مبتعداً عن الزواج، مرتبطاً في الطاعة لأصحاب المراتب العالية^(٣٩). يتسلم الشماس في خلال سيامته كتاب الرسائل، ليقرأ منه على مسامع المؤمنين في الكنيسة في خلال الاحتفالات الطقسية؛ يشهد

(٣٦) كتاب شرح التكريسات والشرطونية، للبطريرك إسطفانوس الدويهي، نشره رشيد الخوري الشرتوني، بيروت ١٩٠٢، ص ١٢٣.

(٣٧) المجمع الفاتيكاني الثاني المسكوني، الوثائق الجمعية، دستور عقائدي في الكنيسة، ٢٩ - الشمامسة، ص ٢٩، نقلها إلى العربية عبده خليفه، يوسف بشاره، فرنسيس البيسري. طبعة رابعة منقحة ١٩٩١.

(٣٨) هذا لأن البابا بولس السادس قد ألغى درجة الشدايقية والدرجات الصغرى؛ رج: 529-534 (1972) 64 Motu proprio. Ministeria quaedam.

(٣٩) يقول هيبوليتس الروماني في هذا المجال: "في سيامة الشماس، ليضع الأسقف يده الأيدي عليه، لأن الشماس إنما نال الدرجة، ليس للكهنوت، بل ليكون في خدمة الأسقف، ليعمل ما يأمره به أسقفه" (Hippolyte de Rome, TA, SC 11 bis, p.59).

المناطق التي تدعو فيها حاجة النفوس إليهم. فإن رضي الخبر الروماني يمكن أن تمنح الشماسية إلى رجال بالغين وإن كانوا متزوجين، لاسيما إلى شبان ذوي أهلية، على أن تسري عليهم شريعة التبتل ثابتة غير متزعزعة.

لقد أعطى هذا النص الأمل للكنائس الشرقية وخاصة الغربية التي فقدت الشماسية مع فرض البتولية في مجمع In Trullo (٦٩٢)، وفي المجمع التريدينتيني (١٥٤٥-١٥٦٣)، فأصبح لدى الكنيسة الغربية من بعد المجمع الفاتيكاني الثاني وإلى تاريخ سنة ١٩٩٤ حوالي ١٤٠٠٠ شماس، ويعيد كارل راهنر الفضل بذلك إلى السماح بالزواج^(٤٠)، الذي أعطى المجال لكثير من المؤمنين بالتطوع لخدمة الكنيسة في المجال الإنساني - الاجتماعي وفي المجال الرأعوي. في ما يخص البعد القانوني للشماسية أصبح لدينا مجموعة قوانين الكنائس الشرقية المشتركة في ما بين ٢١ كنيسة كاثوليكية ابتداء من سنة ١٩٩٠، بالإضافة إلى كتاب التعليم المسيحي

للكنيسة الكاثوليكية الذي صدر في روما سنة ١٩٩٢، مما وحد تعاليم الكنيسة ووجهها على أصعدة كثيرة. يبقى الشماس كما وصفه كتاب عهد الرب "أب الأيتام والغرباء، معيل الأرمال والفقراء؛ وكما تكلم عنه اغناطيوس الأنطاكي، "يتحد الشماس بأسقفه على مثال الابن الوحيد المتحد بالآب؛ وكما تقول القوانين الرسولية: "هو يد الأسقف اليمنى، وعين الكنيسة".

٥. ١٤-١٦: سر الإيمان

يدل هذا المقطع الأخير من ١ تم ٣ على أهمية الوعي لهوية الكنيسة الموثمة على وداعة الإيمان بشخص الأسقف والكهنة والشماسية، وكأن ما كتبه بولس في هذه الرسالة، قد عززه مسبقاً في "رحلاته الكرازية"^(٤١)، فسي ذلك العالم الذي يحمل إرث الحضارات الكبرى في تاريخ البشرية.

يتكلم بولس على "سر التقوى"، وهو مختصر لعقيدة الإيمان المسيحي،

المنبني على موت الرب يسوع وقيامته، خاصة وأن الرسول يعلمنا في رسالته الأولى إلى أهل كورنثس قائلاً: "إن كان المسيح لم يقم، فتبشرنا فارغ، وفارغ إيمانكم، وإن كان المسيح لم يقم، فباطل إيمانكم، وتكونون بعد في خطاياكم" (١٥: ١٤، ١٧). فيختصر هكذا المسيح يسوع التقوى في ذاته، كونه قد ظهر في الجسد (١ تم ٣: ١٦)، ليخاطب جنسنا البشري في هذه الأيام، كما في زمان تجسده (عب ١: ٢)، فبرره الروح (مت ٣: ١٦)، وبشر به الرسل في الأمم (مت ٢٤: ١٤، ٢٦: ١٣؛ مر ١٦: ١٥؛ يو ١٧: ١٨)، وآمن به الناس في العالم (أع ٢: ٣٧-٤١)، فرفعه الله في المجد (فل ٢: ٩).

يعلّمنا بولس الرسول أن بيت الله (١ تم ٣: ١٥) هو الكنيسة، كنيسة الله الحي، كونها عمود الحق وأساسه (١ تم ٣: ١٥)^(٤٢). كل هذه التحديدات المعلنة بصفة رسمية تدل على أن بولس هو أسقف وله الحق في إعلان الكلمة في الوعظ، وفي التوجيه، وفي تحديد مقاييس الإيمان الذي يجب أن يقبله

(٤٠) K. RAHNER, *Écrits théologiques*, t. VI: *Théologie de la rénovation du diaconat*, traduit par H. BOURBOULON, DDB, Lille-Paris (٤٠) 1966, pp. 67-119.

(٤١) تيم داوولي، أطلس الكتاب المقدس وتاريخ المسيحية، رحلات بولس الكرازية، الطبعة العربية الأولى ٢٠٠٧، ص ٧٠-٧١.

(٤٢) هناك تلميح إلى عمود الغمام والنار الذي كان يرافق الإسرائيليين خلال خروجهم من مصر (خر ١٣: ٢١): «هناك عمود واحد، حاصصا حصصهم».

وحسباً حصصهم أجمع، حاصصاً حصصهم، وبهنا حصصهم حصصهم. Théodore de Mopsueste, *Les homélies catéchétiques*; Hom. 15,3, ST. 145, Città del Vaticano (1949) 501.

السامعون، كما القارئون. تحمل هذه الرسالة في طياتها العديد من المعطيات حول مواصفات الأسقف والشماس في حقل الأدبيات، في حقل الخدمة، وفي حقل التعليم، وكأنهما نخبة نقيّة للرب، يشبهان الذبيحة في كل شيء، مقدمة حرة، كاملة، منزّهة عن كل عيب، وإلا لا تكون معتبرة ضحيّة، كالابن الوحيد. نلاحظ، من خلال ما شرّحه القديس يوحنا فم الذهب حول رسائل بولس الرسول، وخاصة رسالته الأولى إلى تلميذه تيموتاوس، أهمية هذه الرسالة، وقد كرّس لها الذهبي الفم ثماني عشرة عظة^(٤٣)، نظراً لقيمتها التوجيهية حول التدبير الداخلي في الكنيسة.

خاتمة

يتّضح لنا، من خلال هذه التفاصيل، أن المؤسّستين الكنسيّتين، الشماسيّة والأسقفية، مرتبطتان عضوياً ببعضهما البعض، إذ إنهما من عمل الرب ومن إرادة السلطة الكنسيّة، بوحى من الروح القدس. فإذا كان

الأسقف هو خليفة الرسل، فالشماس هو وريث المؤسّسة الشماسيّة التي أرادها الرسل مجتمعين (أع ٦). تختلف الألفاظ في التقليد الكتابي بين نصّ ونصّ، من اليونانية إلى السريانية، أو من اليونانية إلى العربية، كما من الأصول إلى الفروع. فإطار كل واحد في حينه لا يتساوى بالخواطر التي تحيط بنا اليوم؛ لأجل ذلك، يجب النظر في وضع النصوص، في أية لغة كانت، في إطارها الطبيعي، قبل الحكم عليها واستنتاج المعاني المناسبة ليومنا.

هناك تداخل في الألفاظ اليونانية بين الأسقفية والشماسيّة^(٤٤)، علماً أن لغة التخاطب في بعض الأحيان بين أصحاب الدرجات المتساوية قد يخلو من الاعتبارات البروتوكولية، ولا يوفي بالغرض المنشود بالمقارنة مع الاعتبارات القانونية التي يستعملها الناس في التكلّم مع أصحاب الدرجات المقدّسة الكبرى خاصّة.

في رسالته الأولى إلى تلميذه تيموتاوس (٣: ١-١٣)، يميّز القديس

بولس ويعدّد الخدم الكنسيّة، خاصّة دور الأسقف (٢: ٢-٢٤-٢٥)، ودور الشماس (١: ٣-١٢). ولنا في مداخلة القديس يوحنا الذهبي الفم، في مديح القديس بولس، تعليق حول هذا الموضوع قائلاً: "وهل كان القديس بولس يكتفي بأن يظهر شفقته على اليهود دون سواهم؟ إنّه كان ذا رقة ولطف لا حدّ لهما، يرثي لجميع الناس كما يرثي لأهل ملّته. وإليكم ما يقوله تيموتاوس: "وعبد الرب يجب عليه أن لا يشاجر بل يكون ذا رفق نحو الجميع، قادراً على التعليم صبوراً مؤدّباً بوداعة المخالفين، عسى أن يؤتيهم الله التوبة لمعرفة الحق، فيفيقوا من فخ إبليس الذي اصطادهم لقضاء مشيئته" (٢: ٤: ٢٤)^(٤٥). في هذه السلسلة من التفسيرات الرعائيّة والعقائديّة والروحيّة واللاهوتيّة يظهر بولس الرسول رائداً، لأنّ هويّة الرسول تحمل الرؤيا إلى أبناء الكنيسة، وعلى الأسقف بنظره مع الشماس أن يكونا أصحاب رؤيا تبني الكنيسة، وتعزز وحدة المؤمنين، وتؤسّس لحضور الرب بواسطة المحبة المنظّمة.

(٤٣) تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المرجع السابق، الآباء اليونان: يوحنا الذهبي الفم، من القرن الرابع إلى القرن الثامن، في الرسالة إلى تيموتاوس وتطس وفيلمون، ص ٦٢٠.

(٤٤) بولس الفغالي، "السلام والشكر ١: ٣-٣؛ ٣-٣" - "الأساقفة والشماسية"، أ- "معنى الألفاظ"، في: رسالة القديس بولس إلى أهل فيليبي، محطّات كتابيّة ٤، الرابطة الكتابيّة، طبعة أولى، بيروت ١٩٩٦، ص ٣٩-٤٠.

(٤٥) الياس كوتر، خطيب الكنيسة الأعظم، القديس يوحنا الذهبي الفم، الفصل التاسع، "القديسون بقلم الذهبي الفم"، القسم الثاني، "مواظب القديس يوحنا الذهبي الفم"، الفصل الرابع، "الفضائل المسيحية"، ٩- "في مديح القديس بولس"، سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم ١١، منشورات المكتبة البولسيّة، طبعة أولى ١٩٨٨، ص ٢٧٥.



١ تم ٤: ١-٧

تجنّب الخرافات الباطلة

الخوري أنطون مخايل

أستاذ مادة اللاهوت العقائدي في جامعة الروح القدس - الكسليك

مقدمة

لا تنحصر مسؤولية تيموتاوس الرعوية في السهر على صحّة عبادة الجماعة، والبحث في مزايا الخدام فيها فقط، بل عليه أن يهتم أيضاً بحياة المؤمنين المسيحية. عليه أن ينبّه مسيحيي أفسس من مخاطر زهد كاذب، لا يراعي حالة الإنسان الملموسة. فبولس كان قد سمّى، في الفصل الأول من هذه الرسالة، المعلمين الذين يعلمون "تعليماً آخر" (٣٦)؛ وانتقد الخفة التي قادت المؤمنين إلى التعلّق "بخرافات وأنساب لا نهاية لها" (٤٦)، والاهتمام بمسائل عقيمة تصرف النفوس عمّا هو أساسي.

١. إطار النص العام

يبدأ الفصل الرابع من رسالة بولس الأولى إلى تيموتاوس بملاحظة عامّة هدف بولس من خلالها إلى طمأننة المؤمنين القلقين من تكاثر عدد المعلمين الكذبة. فالروح الذي لا ينفك يقود الكنيسة، وينبئ بالمستقبل (أع ٢١: ١١).

١ قور ١٢: ١٠)، كان قد سبق وأنبا بوضوح بعمل هؤلاء المؤذي. لا يقول بولس كيف تمّ ذلك: أبواسطة نبيّ أثناء الاجتماع الليتورجي، أم من خلال كشف مباشر له، لا نعلم. لكنّ الأكيد هو أن الأمر يتعلّق بالأزمة الأخيرة. منذ حزقيال (الفصلان ٣٨ و٣٩)، تضمّنت الإسكاتولوجيا اليهودية، في ما يخصّ الأزمة الأخيرة، انتفاضة لقوى الشرّ في مواجهة قوى الخير، انتفاضة سيتمّ سحقها في النهاية، وعلى أنقاضها سيبنى الله ملكوته النهائي. يرد هذا الموضوع بتواتر لدى أنبياء ما بعد السبي، في مقاطع ذات طبيعة رؤيويّة (يو ٤: ٤١؛ ١٢: ١٧؛ أش ٢٤-٢٧؛ زك ٩-١٤؛ ١٤-١٥؛ ١٢-١٣؛ كما يرد في الأدب المنحول (رؤيا أخنوخ وعزرا الرابع)؛ ونجد صدق له في الرؤيا الإزائية (مت ٢٤: ٢٤؛ مر ١٣: ٢٢)، التي تعلن بأنّه "سيظهر مسحاء دجالون وأنبياء كذابون... ليضلّوا (πλανασθαι) المختارين أنفسهم لو أمكن الأمر"، وبأن هذا الظهور سيترافق مع كثرة الارتدادات (مت ٢٤: ١١-١٢؛ ٢ تس ٢: ٣)؛ وبولس نفسه يشير إلى انكفاء الكثيرين عن الإيمان (١ تم ١: ٦، ١٩). سيّطال هذا الأمر الكنيسة نفسها حيث سيقوم بعض المعلمين الذين ينكرون الإيمان جهاراً، ويتمسّكون بأرواح مضلّة (٢ قور ٦: ٨؛ ١ يو ٤: ٦). في ٢ تس ١: ١١، يؤكّد بولس على أنه، في نهاية الأزمنة، "يرسل الله إليهم ما يعمل على ضلالهم، فيحملهم على تصديق الكذب". كما تعود رسالتنا يوحنا الأولى وبطرس الثانية إلى هذا الموضوع (١ يو ٢: ١٨-١٩؛ ١ يو ٤: ٣-٢ بط ٢: ١-١٠)؛ ويطوّره كتاب الرؤيا (رؤ ١٢: ١٣؛ ١٩: ٤؛ ٢٠: ٧-١٠). أخيراً، يحتوي خطاب بولس لشيوخ كنيسة أفسس، المنقول في كتاب أعمال الرسل، الكلمات التالية: "وأنا أعلم أن سيدخل فيكم بعد رحيلي ذئاب خاطفة لا تبقي على القطيع، ويقوم من بينكم أنفسكم أناس يتكلّمون بالضلّال ليحملوا التلاميذ على اتّباعهم" (أع ٢٠: ٢٩-٣٠). يتناقض وحي الروح الحقيقيّ مع ما توحى هذه الأرواح الكاذبة من تعاليم مخادعة،

والتي غالباً ما ترافقها خوارق وظواهر كونيّة (٢ تس ٢: ٢؛ ١ قور ١٤: ٣٢؛ ٢ قور ١١: ١٣-١٥).

هذه السلسلة الطويلة من الشهادات قادت بولس إلى أن يعي بأن نبوءات نهاية الأزمنة (١ قور ٧: ٢٦؛ أف ٥: ٢٦؛ ٦: ١٣؛ ١ يو ٢: ١٨؛ ٢ يو ٧) قد بدأت بالتحقق الآن، في انتظار الحدث النهائي الذي يختم تسلسل الأحداث النهيويّة، أي ظهور المسيح الذي يتبعه تأسيس ملكوت الله واختارين الدائم (١ قور ١٠: ١١؛ ٢ تس ٢: ٣؛ ٢ تم ٢: ١٣؛ ٤: ١٤-٢٣؛ بط ٢: ٣؛ ٣: ١٨)؛ فالشدائد الحالية ليست سوى طلائع الختام الكبير (رو ٢١-٢٢). لذلك يجب ألاّ يسبّب ظهور هذه الأرواح المخادعة في أفسس أي إحباط، لأنه يشكّل جزءاً من تصميم إلهي سيؤول عاجلاً أم آجلاً إلى مجده.

٢. من هم المعلمون الكذبة؟

ينعت بولس المذاهب التي يعلمها المعلمون الدجالون بـ"الشيطنانية"، مما يشير إلى قناعته بأن الشيطان هو من يحرك هؤلاء شخصياً. فإله قد سمح له، بتصميم خفي، بأن يفجر شره في هذه المرحلة الأخيرة، لكي يسحقه

بوهج أكبر (٢ تس ٢: ٣-٩؛ رو ٧: ١٠-١٥). بارتباط بما ورد في حز ٣٨: ٢، ٩، ١٥). والرب نفسه كان قد أعلن أن العدو سيزرع زوئناً في حقله (مت ١٣: ٣٩). فمن الضروري إذاً أن تبقى الكنيسة "عمود الحق وركنه" (١ تم ٣: ١٥)، لأن الأشرار يريدون تهديمها، ويجتهدون في نشر الضلال بين أبنائها (أف ٦: ١١). ليس هؤلاء المعلمون كذبة فقط، بل مراؤن أيضاً (١ تم ٤: ٢)، سواء لأن حياتهم لا تتطابق مع تعليمهم (٢ تم ٣: ٥)، أو لأنهم يدعون ما ليسوا هم عليه في الحقيقة^(١). فهم يدعون أن الله يوحى إليهم، فيما هم مجرد ألعوبة بين يدي الشيطان. وكما أن هذا الأخير يعرف أن يتنكر بزي ملاك النور (٢ قور ١١: ١٤)، كذلك يلجأ أتباعه إلى الغواية والرياء والكذب. فهم يقدمون أنفسهم للناس "في لباس الخراف، وهم في باطنهم ذئاب خاطفة" (مت ٧: ١٥)، "لا تبقي على القطيع" (أع ٢٠: ٢٩). إنهم تلاميذ معلمهم الذي هو "كذاب وأبو الكذب" (يو ٨: ٤٤-٤٥؛ ٢ قور ١١: ٣، ١٣-١٤)، وقاتل منذ البداية (يو ٨: ٤٤)، وأسد حقيقي يروود باستمرار طالباً طريدة يلتهمها (١ بط ٥: ٨). على الرغم من تزويهم بلباس الحملان، إلا أن هؤلاء

لا يستطيعون إخفاء علامة سيدهم، المحفورة على ضمائرهم كما بحديد حام. هكذا يجب فهم العبارة النادرة التي يستعملها بولس هنا: "كُويت ضمائرهم" (٢ آ) (٢)، وحيث تذكرنا قساوة حكم بولس على هؤلاء بحكمه على عليم الساحر (أع ١٣: ١٠).

في المقابل، يحمل تلميذ المسيح في نفسه آثار جراح مخلصه (غل ٦: ١٧)؛ "والمختارون" يحملون على جباههم "ختم الله الحي" (رو ٧: ٢؛ ٩: ٤). أما زبانية الشيطان فيحملون علامة الوحش (رو ١٣: ١٦-١٧؛ ١٤؛ ١٦؛ ١٧؛ ٢: ٢٦). ففي عمق كيانهم مكتوب اسم مالكهم، ذاك الذي يستعبدهم ويتركهم سجناء شركاه، خاضعين تماماً لإرادته (٢ تم ٢: ٢٦).

٣. ماذا يعلمون؟

يتجلى رياء هؤلاء المعلمين الكذبة في أنهم يقدمون للمؤمنين نموذج حياة متطلّبة ظاهرياً: عدول عن الزواج وامتناع عن بعض الأطعمة (١ تم ٤: ٣). من المحتمل أن تكون هذه التعليمات تلميحاً إلى المغالاة في الممارسات الوثنيّة، وإلى النظريات الفلسفية الثنائية السائدة في القرن الأول، كالغنوصيّة (من اليونانية

(١) في اللغة اليونانية، تشير كلمة "مراؤن" (ὑποκριται) إلى الممثلين، وإلى كلّ الذين لا يقولون الحقيقة. في الأناجيل الإزائية، الرياء هو من الأمور التي وصّمت سلوك الفريسيين والكبة، وهو طريقة تقليدية للإغواء يستعملها المعلمون الدجالون (مت ٧: ١٥)، وعقابها جهنّم (مت ٢٣: ٣٣؛ ٢٤: ٥١).

(٢) تشير هذه العبارة إلى عادة حرق جلد حيوانات القطيع للإشارة إلى مالكةا، وأيضاً إلى حرق جلد العبد الهارب الذي يقبل على جسده علامة سيده غير القابلة للمحو.

(γνωσις)^(٣)، التي كانت تقيم معارضة جذرية بين عالم المادة وعالم الروح^(٤). لقد وجدت هذه التعاليم تربة خصبة لدى اليهود-المسيحيين، الذين استعانوا بها لتقديم نوع من "توفيقية" (syncretisme) دينية تجمع عناصر يهودية ومسيحية وفلسفية، أدرك بولس جيداً مخاطرها على المؤمنين^(٥).

قادت هذه النظريات المعادية للزواج بولس، وهو من مناصري البتولية، إلى أن يدافع عن الزواج، وأن يفسر للمؤمنين، بشكل صحيح، بعض كلمات يسوع في هذا الشأن (مت ١٩: ١٢-٢٥). لكن الرسول لا يشدد كثيراً على هذا الانحراف الأول في مثال الزهد المغلوط. فهو كان قد عالج موضوع الزواج والعائلة بإسهاب في مناسبات أخرى (١ قور ٧: ٢٢-٣٣)^(٦). لكن خطر التحريف في أمر أوجده الله وباركه المسيح دفعاه إلى أن يدافع بشدة عن مؤسسة الزواج (١ تم ٤: ٣)، ويعطي الأمومة قيمتها (١ تم ١٥: ٢)، وينصح الأراامل الفتيات بالزواج (١ تم ٥: ١٤؛ مما لا يتوافق مع النصائح التي كان قد أعطاها في ١ قور ٧: ٤٠).

يركز بولس كلامه على الانحراف الثاني: الامتناع عن بعض الأطعمة. يبدو هذا التحريم إشارة إلى ما تعلمه بعض التيارات الفلسفية الهلينية^(٧)، أو

ممارسة كان يقوم بها المسيحيون من أصل يهودي، الذين كانوا قد تربوا على الاحترام الصارم لما تحرّمه الشريعة من أطعمة (راجع لا ١١). لدينا مثال واضح على ذلك في تصرف بطرس الذي، وعلى الرغم من المبدأ المحرّر الذي أعطاه المسيح: "إن ما يدخل الإنسان من الخارج لا ينجّسه" (مر ٧: ١٩)، لم يتمكن من أن يحرّر نفسه بعفوية من هذا التقيد الشرائعي (أع ١٠: ١٤)؛ فهو احتاج إلى صوت من السماء يذكرّه على ثلاث دفعات: "ما طهره الله، لا تنجّسه أنت" (أع ١٠: ١٥). وكلنا يعلم كم كانت جماعة أورشليم متأثرة بهذه العقلية (أع ١٥: ٣).

(٣) تشير هذه العبارة إلى مجموعة تيارات فلسفية ودينية وروحية، ظهرت في القرنين الثاني والثالث، وتخلط بين مذاهب وثنية ويهودية وعقائد مسيحية. كانت هذه التيارات تقول بثنائية جذرية تطابق بين الشرّ والمادة، وبين الجسد والأهواء، وتعتبر الخير مادة روحية تنتمي إلى العالم الإلهي، وتقتصر معرفتها على بعض المختارين. لقد حارب آباء الكنيسة في القرنين الثاني والثالث الغنوصية بشدة.

(٤) تعلم هذه النظريات بأن الإنسان مسجون في الجسد، وبالتالي فهو يرغب بقوة بالتحرّر من هذا السجن، وذلك من خلال تطهير تدريجي وتخلّ كلي. لذلك تبدو المساهمة في نمو الجنس البشري، بواسطة الزواج، استطلاعة لسجن النفوس هذا في المادة. فالزواج لا يمكن أن يكون سوى مؤسسة منحرفة، وبالتالي على كل من يتوق إلى الحياة الحقّة، تلك الروحية، أن يتمتع عنه. ولقد حارب القديس إيريناوس أسقف ليون (٢٠٢) بشدة هذه النظريات في كتابه الشهير ضد الهرطقات (*Adversus Haeresis*) حيث يقول: "هناك أناس يمشرون برفض الزواج، ويرذلون العمل القديم الذي خلقه الله، ويتهمون، بشكل محرف، ذاك الذي صنع الرجل والمرأة في سبيل الإنجاب. لقد فرض هؤلاء الامتناع عن كل ما هو حي، وهم بذلك ينكرون جميل الله الذي صنع كل شيء، وينكرون أيضاً خلاص الإنسان الأول" (الكتاب الأول: ٢٨: ١).

(٥) من الممكن أن تكون روحانية الأسينيين قد أثرت على بعض الجماعات اليهودية-المسيحية، وهي روحانية كان تمثّل الزواج، لا لأنه شرّ بحد ذاته، ولكن لأنه يتعارض مع مثال القداسة عندهم، ومع الوفاق المطلوب في حياة الجماعة الأوسع. يقول المؤرخ بليوس الكبير عن الأسينيين "إنهم شعب فريدي... من دون امرأة لأنهم تخلّوا كلياً عن الحب". بدوره، يكتب فيلون الإسكندري عنهم: "إنهم حرّموا الزواج، وأمروا، في الوقت عينه، بممارسة الانقطاع التام عن العلاقات الجنسية. في الحقيقة، ليس هناك من أسينيين متزوج". بدوره، يعلن فلافيوس أن "الأسينيين يحقنون الرغبة كثير، ويعتبرون الامتناع عن العلاقات الزوجية ومقاومة الأهواء فضيلة. إنهم يحتقرون الزواج لأنفسهم". تؤكد هذا الرأي الاكتشافات الأثرية في خربة قمران، حيث لم يظهر الكثير من الهياكل العظمية النسائية.

(٦) تبدو مسألة تحريم الزواج مرتبطة بمفهوم خاص للقيامة مستند خطأ على مت ٢٢: ٣٠. يقول كتاب أعمال بولس وتقلا، وهو كتاب منحول من القرن الثاني: "أبعد بولس الشبان عن النساء، والعذارى عن الرجال قائلاً لهم: لن تكون لكم قيامة ما لم تبقىوا أعفاء. عليكم أن تحافظوا على جسدكم نقياً للقيامة". ويضيف، في مكان آخر: "طوبى لأنقياء القلوب فإنهم يعاينون الله. طوبى للذين يحفظون طهارة جسدكم، فإنهم يصيرون هيكل الله. طوبى للممتنعين (عن العلاقات الجنسية) فإنهم بالله يلتقون. طوبى للذين تخلّوا عن هذا العالم، فإنهم سيكونون محبوبين من الله". لقد أثر هذا الكلام كثيراً على تقلا مما دفعها إلى التحلي فوراً عن خطيئها، وأثار غضب هذا الأخير على الرسول.

(٧) كان تلامذة الفيلسوف بيتاغور يتمتعون عن أكل اللحوم والحبوب؛ كما كانت الشيع ذات المصدر الشرقي تحرّم العديد من الأطعمة.

١١: ٤١؛ روم ١٤: ٢٠). في هذا المعنى، يقول القديس توما الأكويني: "لا شيء غير صالح لمن يعمل الصلاح" (a bono a bono).^(٨)

لكن كيف يجب فهم عملية تقديس المأكّل هذه؟ فإذا كان الله قد خلق كلّ شيء حسناً، فما الحاجة بعد إلى التقديس؟ صحيح أن الخليقة خرجت صالحة من يدي الله، ولكنّ خطيئة الإنسان أثّرت عليها ولطّختها (تك ٣: ١٧). فهي متضامنة مع آدم الأول في الخطيئة، "أخضعت للباطل" (روم ٨: ٢٠)، "ولرؤساء هذه الدنيا" (١ قور ٢: ٨)، "ولأصحاب الرئاسة والسلطان وولاة هذا العالم، عالم الظلمات" (أف ٦: ١٢). لذلك وجب تحريرها "من عبودية الفساد، لتشارك أبناء الله في حرّيتهم ومجدهم" (روم ٨: ٢١). إنها ستستعيد جوهرتها الأصلية بفضل انغراسها في آدم الجديد، الذي به خلّق كلّ شيء من جديد (روم ٥: ١٢-٢١؛ ١ قور ١٥: ٤٥-٤٩).

في هذا التوجّه، تعلن كلمات التقديس التي تتلى على الخليقة المادّية (الطعام) أنه تمّ تحريرها "من سلطان الظلمات"، ونُقلت "إلى ملكوت ابن محبّته" (كول ١: ١٣)^(٨). وحده المؤمن يعرف كيف يستعمل الأطعمة كعطايا من الله (١ تم ٤: ٤)، فيرجعها إليه،

من سفر التكوين، حيث يتردّد كلاً لزمّة قول الكتاب: "ورأى الله أن ذلك حسن" (انظر أيضاً سي ٣٩: ١٦، ٢٤، ٢٧). ليس هناك شيء يناقض بقوة العقلية البيبلية أكثر من الثنائية الكوسمولوجية، وإدانتها للأمور الأرضية. فكون هذه الأخيرة مخلوقة من قبل الله، فهذا يعني أنها خيرة بجوهرها، وإذا قادت عرضاً إلى الشرّ، فمردّد ذلك إلى خطيئة الإنسان (تك ٣: ١٧؛ روم ٨: ٢٠). ليأكل المسيحيّ إذاً من كلّ شيء على أنه معطى له من الله نفسه، وليقيم بذلك مع فعل شكران، ولا يهملن الصلاة للربّ، لكي يتقدّس الطعام (١ تم ٤: ٤). يذكّرنا فعل الشكر هذا الذي يرافق الطعام، بموقف المسيح (مت ١٥: ٣٦؛ ٢٦: ٢٧؛ يو ٦: ١١)، وبولس نفسه (أع ٢٧: ٣٥)، والمسيحيين (روم ١٤: ١٦؛ ١ قور ١٠: ٣٠). بتناقض واضح مع الفلسفة الهلنيّة، تعلّم المسيحية أن الأشياء المادّية هي عطية من الله، الكلّي القدرة والحكيم، الذي أخضع الكون كلّهُ للإنسان، ووضعه في خدمته. فاعتبار بعض الخلائق سيئة فيه إساءة لصانعها. الخلائق هي، بحدّ ذاتها، محايدة، وقيمتها الأخلاقية ترتبط باستعمالها. ما يهمّ هو نقاوة القلب (مت ٥: ٨؛ ١ تم ٢: ٨)، وليس الممارسة الخارجية، وعندئذ يصبح كلّ شيء نقياً للأتقياء (لو

٢٩). على أي حال، لا يبدو هؤلاء مجرد "ضعفاء" كما في كنيسة روما (روم ١٤: ١ وما يلي)، بل نشطاء يسعون بكلّ جهد إلى نشر تعاليمهم الزهديّة.

٤. كيف يرد بولس عليهم؟

كان على بولس أن يحارب، طيلة حياته، المتهودين الذين كانوا ينحون إلى تكبيل المؤمنين بآتقال الشريعة في موضوعات الأطعمة والأشربة ومخالطة الوثنيين وغير ذلك من الأمور (انظر كول ٢: ١٦؛ غل ٤: ٣؛ ١ قور ٨-١٠؛ روم ١٤: ٢). في مواجهته لهؤلاء، يستند بولس إلى تعليم المسيح نفسه: "إني عالم علم اليقين، في الربّ يسوع، أن لا شيء نجس في حدّ ذاته" (روم ١٤: ١٤)؛ وأنّ "كلّ شيء طاهر للأطهار" (١ تي ١: ١٥)؛ وأن "ملكوت الله ليس أكلاً وشرّباً" (روم ١٤: ١٧). هذا ما يدركه جيّداً المؤمنون الراشدون الذين "عرفوا" (επεγνωκοσιν) الحقّ (١ تم ٤: ٣)، على عكس المؤمنين "الضعفاء" الذين ليس لديهم "المعرفة" (γνωσις)، والذين يسمح لهم بولس ببعض أشكال الامتناع غير الهامة لمسألة خلاصهم (روم ١٤: ١٥-٢١؛ ١ قور ٨: ١٣).

يذكّرنا قول بولس: "فكلّ ما خلق الله حسن" (١ تم ٤: ٤)، بقوله في روم ١٤: ١٤، وهو صدى للصفحة الأولى

(٨) لصلوات التبريك والتعزيم التي تتلوها الكنيسة الهدف نفسه.

ويشكره عليها (روم ١٤: ٦؛ ١ قور ١٠: ٣٠)؛ وبذلك يحول واقعاً دنيوياً محضاً (الأكل) إلى عمل طقسي يعبر عن الإيمان بالله الخالق (١ تم ٤: ٥)، الذي جعل كل شيء مقدساً، أي مفصلاً عن كل ما هو دنيوي، ومعداً للاستعمال الديني. أما المدنسون وغير المؤمنين، فلا يجدون إلى ذلك سبيلهم لأن النعمة لم تظهر بعد أذهانهم وإراداتهم^(٩). كل ما خلقه الله هو إذاً حسن، ليس فقط لأنه مخلوق من قبله، ولكن أيضاً بعلاقة مع الإنسان الذي يستعمله استعمالاً حسناً.

٥. ماذا يجب على تيموتاوس أن يفعل؟

في مواجهته المعلمين الكذبة، يلعب تصرف تيموتاوس، معلم الكنيسة في أفسس، ومسلكه الشخصي دوراً أساسياً. فعليه أن يعرض بأمانة أمام إخوته (راجع روم ١٦: ١٤؛ ١ قور ٥: ١١؛ ٢ قور ٨: ٢٣؛ قل ١: ١٤)، ما قاله له بولس للـتـو. يشير فعل "عرض" (υποτιθεμενος ١ تم ٤: ٦) إلى جهد على تيموتاوس أن يبذله ليقتنع سامعيه بضرورة الأخذ بنصائحه عن طريق

اللين، وإلا يلجأ إلى الأمر بها بسلطانه الكنسي (١ تم ٤: ١١). هكذا يضحي تلميذ الرسول "خادماً صالحاً للمسيح يسوع" (١ تم ٤: ٦)^(١٠). صفة الخادم الأمين ليسوع المسيح هذه تلزم تيموتاوس بأن يتغذى باستمرار (εντρεφομενος بصيغة الحاضر) "بكلام الإيمان وبالتعليم الحسن" (١ تم ٤: ٦)، "التعليم المقدس" (١ تم ١: ١٠؛ انظر أيضاً ١ قور ٣: ٢؛ عب ٥: ١٢-١٤؛ مت ٤: ٤)، الذي يتناقض والتعليم المخادعة، وهو تعليم بولس نفسه (٢ تم ٣: ١٠) الذي قبله تيموتاوس. كما يعكس فعل "تبع" (παράκολουθεω) صورة "الاتباع عن قرب" و"التعلق والارتباط الدائمين". فعلى الرسول أن يكون مقتنعاً شخصياً بما تعلمه قبل أن ينقله إلى الآخرين.

في نهاية تحريضه، يحض بولس تلميذه على أن يتعد عن "الخرافات الدنيوية وما فيها من حكايات العجائز" (١ تم ٤: ٧). كنا قد صادفنا عبارة "الخرافات الدنيوية في أمكنة أخرى من رسائله" (١ تم ٤: ٢؛ ٤: ٤؛ تيط ١: ١٤)؛ لكن عبارة "حكايات العجائز" (γραιωδεις) لا ترد في مكان آخر في العهد الجديد. لهذه العبارة وقع تهكم وهزؤ: إنها نعت شائع في جدالات

(٩) في كلمات التقديس هذه صدى لكلمة الله الخالقة (تك ١: ٢٤؛ راجع مز ١٠٤: ٢٤)، أو إشارة إلى تلاوة بيبلية قصيرة قبل الطعام وبعده، وهي عادة درج عليها اليهود ومن بعدهم المسيحيون (١ قور ١٠: ٣٠-٣١).
(١٠) لا تحمل عبارة "خادم" (διακονος) المعنى التقني الذي ستأخذه في ١ تم ٣: ٨، بل معنى عام (كما في روم ١٣: ٤؛ ١ قور ٣: ٥؛ ٢ قور ٣: ٦)؛ وبهذا المعنى يطلقها بولس على أبراس (كول ٨: ١)، وطيقس (كول ٤: ٧)، وعلى نفسه (كول ١: ٢٣-٢٥؛ أف ٧: ٣).

خلاصة

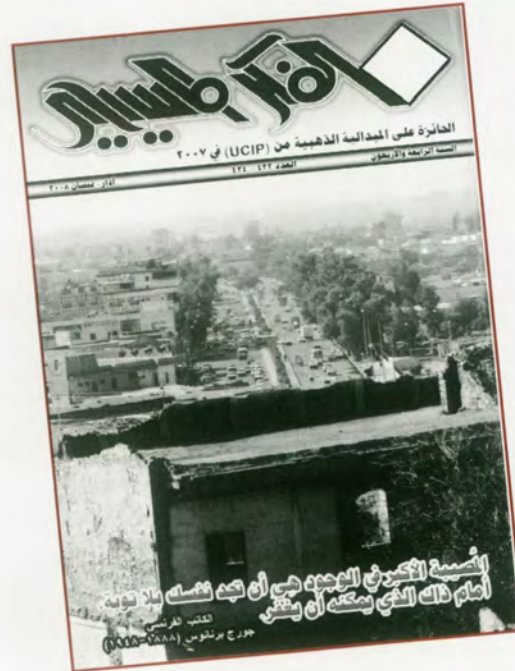
بصفته الحكمة الحقيقية والتعليم الصحيح والإيمان الحقيقي، والودعة الحسنة، التي يجب فصلها وتمييزها عن تعاليم الأعداء والمناوئين. ما هو أكيد هو أن هذه "التوفيقية الدينية" تشكل خطراً حقيقياً على الإيمان، وبالتالي يجب الاختيار بين الأسطورة والوحي، وبين الاستنباطات البشرية وحقيقة كلمة الله.

شكل الصراع ضدّ المعلمين الكذبة قاسماً مشتركاً بين رسائل بولس الرعائية، مما يشير إلى أن الرسول وتلاميذه قد واجهوا صعوبات كثيرة في محاربة هؤلاء، وعانوا كثيراً في دفاعهم عن نقاوة إيمان المؤمنين، واستقامة ممارستهم. في رسائله هذه، شدّد بولس على ضرورة اعتماد تعليمه

عليه، وينمّي قواه الذهنية والروحية، في سبيل اقتناء التقوى التي هي فضيلة الحياة الحاضرة والمستقبلية (١ تم ٤: ٨). في أمكنة أخرى، يعدّد بولس لتلميذه بعض التمارين المفيدة كالتجرّد والصلاة واقتناء الفضائل وبشكل خاص قراءة الكتب (٢ تم ٣: ١٥-١٦)، مشدّداً على ضرورة أن يتمتّع الرسول بهذه الصفات الشخصية والهامة لاستقامة تعليمه (١ قور ٩: ٢٧؛ فل ١٢: ٣).

مراجع

- Spicq C., «Les épîtres pastorales», dans DBS, vol. VII, Paris, 1966, col. 1-73.
 Dornier P., *Les épîtres pastorales*, Gabalda: Paris, 1969.
 Carrez Maurice et al, *Lettres de Paul, de Jacques, Pierre et Jude*, Desclée: Paris, 1983.
 Cothenet Edouard, *Les épîtres pastorales*, dans Cahiers Évangile, n. 72, Cerf: Paris, 1990.
 Reynier Chantal et Trimaille Michel, *Les épîtres de Paul*, t. 3, Bayard: Paris, 1997.



كل رسول هو خادمُ المؤمنين ومثالهم

الخوري شوقي كرم

أستاذ مادة اللاهوت الخلقي في معهد القديس بولس، حريصا، وفي الجامعة الأنطونية

١- التحلي بالتقوى (٨ آ)

رسولية تليق بمختاري الله. وتأتي فضيلة التقوى المرفقة بالرجاء في أولى درجات هذا السلم.

يوكد القديس بولس لتلميذه أن التحلي بفضيلة التقوى (أوسابايا)، الذي يرد ذكرها عشر مرات في الرسائل الرعوية وخمس مرات فقط في سائر العهد الجديد، يعود بالخير العميم عليه وعلى من أوكل إليهم من قبل الرب. وهذا الأمر يرجع من ناحية أولى إلى ما تدعو إليه فضيلة التقوى من تعلق وحب لله ومن حفظ لوصاياه، واحترام له ولكنيسته، ومن تجاوز مع حنانه ولطفه ومحبة للبشر، ومن ناحية ثانية، إلى ما هي قادرة أن تثمره من خير في كل شيء، وأن تدخل المؤمن في مقام الأبرار (رج ١: ٦ و ٦: ١٩).

هذه العلاقة الشخصية بالرب المتميزة بالأمانة والحب له والتفاعل مع كل نعمه هي من أهم الثوابت لحياة رسولية بحسب قلب الرب. فالرسول هو خادمٌ لسيد واحد، وخدمته لا تقوم فقط على نقل كلمة هذا المعلم، بل على تمثيله شخصياً في كل موقف

ينطلق بولس في دعوته لابنه الحبيب تيموتاوس إلى التحلي بفضيلة التقوى من مقارنة موضوعية بين الخير الجزيل الذي تمنحه هذه الفضيلة في الحياة الحاضرة والمستقبلية، وبين بعض الخير الذي تعطيه الرياضة البدنية.

هذه الغمزة حول "بعض الخير" الذي تعطيه الرياضة البدنية يعود بولس إليها لاحقاً في هذه الرسالة ليدعو تلميذه تيموتاوس إلى الاهتمام بصحته (٥: ٢٣). ويجدر بنا التوقف قليلاً على هذا الأمر لنؤكد مع الرسول أن الاهتمام بالصحة هو واجب مقدس لأنها خير عظيم للحياة؛ فكل رسول مدعو أن يحافظ على صحة جيدة، فيعتني بجسده مستخدماً الوسائل المناسبة والضرورية لذلك، بما فيها الرياضة البدنية، دون مغالاة، وشرط ألا تكون على حساب الأهم: الصحة الروحية.

هنا يضع بولس، انطلاقاً من خبرته الطويلة في الحياة الرسولية، سلماً للأولويات في الحفاظ على حياة

يُدرج الرسول بولس توصياته الرسولية العملية لتلميذه تيموتاوس ضمن رؤياه اللاهوتية الموضوعية للخدمة الرسولية: كل رسول هو فاعل أساسي في قلب الكنيسة التي جعلها الرب يسوع "عمود الحق وركنه" (١ تم ٣: ١٥)، ويبقى فيها هو المفتاح الأساسي لفهم سرها وسر الدعوة الرسولية. ونظراً لما لهذه الخدمة الرسولية من أهمية في بناء كنيسة المسيح، لا يتأخر الرسول بولس عن تذكير تلميذه تيموتاوس بالسلوك الرسولي الصحيح الذي عليه أتباعه بحسب السلطة المعطاة له لرعاية وتدريب كنيسة أفسس وحفظها من ضلال المعلمين الكذبة، والسير بها في طريق الخلاص (١ تم ٤: ١-٧). هذه الخدمة الرسولية تفترض من الرسول، بحسب ما ورد في هذا القسم من رسالة القديس بولس، ١ تم ٤: ٨-١٦، التحلي بفضيلة التقوى والرجاء، كما وبالأمانة لاستثمار ما أعطي من مواهب، والمواظبة على التبشير بكلمة الإنجيل، ليكون في كل شيء مثلاً حياً للمؤمنين، فيتقدس ويخلص نفسه والآخرين (١ تم ٤: ٨-١٦).

الآخرين بتعليمه وريح احترامهم، بأن لا يدع أحداً يستخف بشبابه، وبأن يكون قدوة للمؤمنين بكل حياته.

بولس العالم بالكتب المقدسة يعرف أن الحكمة هي من الرب (يش ١: ١)، وأن رأس الحكمة هي مخافة الرب، وبالتالي أن الشيخوخة المكرمة (يش ١: ١٤) "لا تقوم على كثرة الأيام ولا تقاس بعدد السنين، ولكن شيب الإنسان هو الفطنة، وسن الشيخوخة هي الحياة المنزهة عن العيب" (حك ٣: ٨-٩). لذلك لا يتوانى أن يشجع تلميذه على ألا يخاف من تشكيك شيوخ أفسس بشبابه وقلة خبرته، لأن لديه كثير من الحكمة، بحسب معرفة الرسول له، وبأنه قادر بسيرته الحسنة وجهاده الصحيح أن يقنعهم بأهليته لهذه المهمة العظيمة التي أوكلت إليه في هذا العمر المبكر. بولس يعرف أن تيموتاوس ليس تلميذاً مبتدئاً، فهو تعلم لديه وأعطى الموهبة، وهذا يكفيه ليتقدم رويداً رويداً، وينال ثقة واحترام الكل، تماماً مثلما يتمرّس الرياضي لينال حظوة الجميع.

لذلك يشير عليه بأمر مهم يصلح لكل رسول في كل زمان ومكان، وبدون تمييز لعمره: "كن قدوة للمؤمنين بالكلام والسيرة والمحبة والإيمان والعفاف" (١٢٦). هذه الفضائل تختصر الكثير من وصايا المسيح لرسله، الذين حذّرهم بلهجة شديدة من أن تأتي على أيديهم الشكوك أو أن يكون سبب عثرة لإخوته الصغار (مت ١٨: ٦-١٠).

إلى كل جهاد رسولي حقيقي بكل ما يتطلبه من تقوى وتعب وكفاح وجهاد وتحمل آلام وتجرد، ألخ.

هذا الأمر لا يصلح فقط للرسول، بل لكل مؤمن بيسوع المسيح، لأن الدعوة واحدة والرجاء واحد. لذلك يحرص بولس أن يوصي تلميذه تيموتاوس بالآتي يحتفظ بهذا لنفسه، بل أن يوصي به ويعلمه كل أبناء كنيسته (١١٦).

٢- القدوة والمثال الحي

ويتابع الرسول بولس تقديم النصح إلى تلميذه تيموتاوس، انطلاقاً من خبرته الرسولية الطويلة، فيؤكد له أن أي عمل رسولي فعال ونافع يتطلب شهادة حياة مقنعة من قبل الرسول نفسه (١٢٦).

وفي هذا الأمر، انطلق الرسول بولس من المخاوف التي اعترت تلميذه تيموتاوس أمام حلقة الشيوخ في أفسس (١٩، ١٧: ٥) المشككة بأهليته، والتي أحسّت بأنها مهانة بعض الشيء من اختيار الرسول بولس شاباً لا خبرة له لقيادة الكنيسة فيها (أع ١٦: ١-٣)، لا شيخاً مثله. بولس يعلم ويدرك أن ما حدث هو ردّة فعل طبيعية لذهنية تقليدية لطالما ربطت الحكمة والقدرة على الرعاية والتدبير والتعليم بالشيخوخة، وبالتالي اعتبرت أن الشيخوخة وحدها قادرة على فرض الاحترام. لذلك سارع فأوصى تلميذه بأن الطريق الذي يستطيع من خلالها إظهار حكمته وإقناع

وخيار وفعل بين الذين أرسل إليهم. ويشبه القديس بولس الرسول بالسفير للمسيح؛ فكيف له أن يكون سفيراً حقيقياً للرب إن لم يكن على تواصل حقيقي معه من خلال الصلاة، وقراءة الكلمة والتأمل فيها، وعيش الأسرار وغيرها من متطلبات الحياة الروحية التي تجذر الرسول في المسيح، فيصبح في المسيح ويصبح المسيح حياً فيه؟

وهذا، كما يقول القديس بولس الرسول لتلميذه تيموتاوس، "قول جدير بالتصديق على الإطلاق" (٩٦). أولاً، لأن أي رسول لا يستطيع أن يبلغ الكمال المدعو إليه بنفسه، أي بقوة إرادته وعزمه وطرقه الخاصة، بل بالتقوى، أي بالالتكال على قوة النعمة التي له بيسوع المسيح ابن الله الحي، الوسيط الوحيد لتحقيق خلاصنا، وقبولها والتفاعل معها. وثانياً، إن أي رسول لا يستطيع أن يثبت في الجهاد والتعب لعمل خلاصه وخلاص الآخرين إلا بالرجاء الذي له في يسوع المسيح ابن الله الحي مخلص الناس أجمعين ولا سيما المؤمنين (١٠٦).

بدون هذا الرجاء الذي لنا بالمسيح المرتبط بمواعيده الإلهية لكل من يؤمن به، خاصة الوعد بالسلام والفرح اللذين سننالهما في هذه الدنيا وفي الحياة الأبدية في الآخرة بالرغم من كل آلام هذا الدهر (١ كو ١٥: ١٩، ٣٠-٥٨)، لا يقبل أحد الجهاد الحق. لأجل هذا، الرجاء بالخلاص الذي يعد به المسيح ويقدمه ويحققه هو ينبوع القوة بالنسبة

أَلخ. فإن تلقى المؤمنون الذين يسمعونهم عرضاً متماسكاً وعمماً لكلمة الله، تقووا في إيمانهم، وتثبتوا في رجائهم في المسيح (روم ٥: ٢)، واضطربت محبتهم، ونمت معرفتهم، فيصيروا قادرين أن يقفوا في وجه معلّم الضلال الذين حذر بولس تلميذه منهم، وساروا في درب الخلاص بأمان.

٣. ٢- استثمار الموهبة الروحية (١٤ آ)

يتابع بولس تشجيع تلميذه على التحرر من الخوف والانطلاق بجرأة في خدمته الرسولية، مذكراً إياه بالموهبة الروحية التي هي فيه وقد نالها كعطية إلهية بواسطة الكنيسة: "لا تُهمل الموهبة الروحية التي فيك، تلك التي نلتها بنبوّة مع وضع جماعة الشيوخ أيديهم عليك" (١٤ آ).

من الواضح أن بولس الذي التقاه يسوع على طريق دمشق وأنعم عليه بأن يصير رسول الأمم، واختبر طوال مسيرته الرسولية بأفراحها وآلامها وتحدياتها أن نعمة المسيح تكفيه، لا يستطيع سوى أن يشير على تلميذه بالآل ينسى ويهمل الأهم في حياته ما أعطي له من الله بواسطة الكنيسة: الموهبة الروحية. فما هي هذه الموهبة الروحية التي أعطيت لتيموتاوس؟

هي موهبة نالها بنبوّة، كما يذكره بولس، وهذا يعني أنه جرى اختياره كراع لكنيسة أفسس بتدخل إلهي يظهر دعوة الله الخاصة له واختياره هو

الله بأمانة لمن أوكل إليه رعايتهم، هي أن ينصرف إلى "القراءة والوعظ والتعليم" (١٣ آ). هذه الثلاثة هي في أساس خدمة الكلمة في قلب الجماعة الكنسية، كما هو ثابت بحسب التقليد الرسولي: يقرأ الرسول كلمة الله ويشرحها للجماعة، معلماً من خلال ذلك مبادئ الإيمان والعقيدة الروحية وخلقية العيش المسيحي.

هذه المهمة الرسولية تتطلب أولاً من الرسول، بحسب الفعل اليوناني المستعمل، أن يركّز اهتمامه على نقل كلمة الله للمؤمنين، وينصرف إلى هذه الخدمة الجليلة بكلّ جوارحه، ولا يدع أي شيء يلهيه عنها. ويتطلب ثانياً معرفة حقيقية لهذه الكلمة، إن من الناحية العلمية أو من الناحية الحياتية المرتبطة بعيش هذه الكلمة.

ولأن هذه "الكلمة" هي كلمة "نور وحق وحيّة"، تخاطب العقل والقلب في الإنسان، وتقوده في سبل الحياة الحق، فتطبع فكره وعواطفه وسلوكه، وتؤهل له لنيل الحياة الأبدية، فعلى الرسول أن لا يستخفّ بهذه الكلمة ولا بمن ينقلها إليهم. لذلك، فالرسول مدعو في كلّ حين، وطوال حياته، إلى أن يثقف نفسه بقراءة كلمة الله والتأمل بها، وبالاسترشاد بتعليم الكنيسة لفهمها، وتطبيقها في حياته، ليستطيع أن ينقلها بأمانة بالشرح والإرشاد، بالوعظ والتعليم، مشجّعاً حيناً، ومعزّياً حيناً آخر؛ مدمراً لبني، مؤدّباً ليقوم،

وإذ ليس من متسع لدراسة كلّ واحدة من هذه الفضائل التي ذكرها الرسول، نكتفي بخلاصة القول إن على تيموتاوس، كما وعلى كلّ رسول، أن يسعى لعيش حياة لا لوم فيها، يتجلّى من خلالها عمق إيمانه، وعظم محبته، وقوة رجائه، وغنى فضائله في علاقته بالله والآخرين، في كلامه كما في تصرفه، في خياراته كما في مواقفه، في خدمته الرعوية كما في عبادته، في صداقاته كما في خلافاته، أَلخ. بهذا يستطيع أن يصير بحق قدوة (تيموس)، أي مثلاً ومعيّاراً وقاعدة، لكلّ مؤمن، فينجذب الكلّ إلى مخافة الربّ وخدمته على مثاله. هكذا كان يسوع، وهكذا عاش بولس متشبّهاً بمعلّمه الأوحّد، وهكذا هو جوهر كلّ خدمة رسولية مقنعة ومثمرة للمؤمنين.

٣- الجهاد الحقّ

بعد أن طمأن الرسول بولس تلميذه وأبان له كيف يستطيع أن يتحرر من مخاوفه ويثبت هويته كرسول، يتابع بثقة واحترام كبيرين له، نابعين من معرفته الشخصية له، شرح سبل الجهاد الحقّ التي تمكّنه من أن يكون ما هو مدعو إليه كرسول، وما تتطلبه هذه الدعوة من إلزامات روحية وعملية.

٣. ١- خدمة الكلمة

أولى السبل التي تمكّن الرسول من أن يكون خادماً للإنجيل، فيحمل كلمة

كثيرة، من أهمّها: الالتزام المطلق بالخيار بحالة الحياة الجديدة والدائمة التي تكرّس لها الرسول، حالة الخدمة الكهنوتية، فلا يعود ينظر إلى الوراء طاعةً للمسيح (لو ٩: ٦٢)، ويتمطّي إلى الأمام اقتداءً ببولس، ساعياً إلى الغاية ليحصل على الجائزة التي يدعوه الله إليها من علّ لينالها في المسيح يسوع (فل ٣: ١٣-١٤).

وهذا يعني أيضاً التنبّه للخطر الذي يترّص بخادم الله، وهو أن ينشغل بأمور ثانوية (أو باطلّة)، ويغرق في النشاطات، مهما عظم شأنها، على حساب حياته الروحية وخدمة النفوس. وهذا يتطلب منه عملياً أن يجاهد دوماً ليركز فكره وقوّته على النصيب الأفضل والضروري (لو ١٠: ٤٢)، وأن يستبعد في نظام حياته الرسولي كلّ ما يلهيه عن غايته. لهذا يدعوه بولس ليكون مُلازماً لكلّ هذا الجهاد، فيروّض نفسه ليسير من حسن إلى أحسن، فينمي نفسه كمدعو ومكرّس ويطوّرها، ويغني حياته الروحية، ويقوّي إدراكه لسرّ دعوته، ويوسع ويعمّق آفاق عمله الرسولي، فيظهر تقدّمه لعيون جميع أبناء كنيسته، فيطمئنوا إليه وبنحوه ثقتهم، ويتركوه يقودهم كراع صالح على مثال المسيح في طريق الخلاص.

ولذلك يدعوه بولس إلى ألاّ يهمل (أمالايو) هذه الموهبة الروحية، بل أن يهتمّ باستثمارها بحكمة، وأن يحسب حساباً كبيراً له. فهي نعمة عظيمة أعطيت له وجهازه تجهيزاً علوياً لكي يستطيع أن يمارس وينجح في خدمته الرسولية. وما عليه سوى أن يعود إليها ويتقوّى بها ومنها ليوافق مسؤوليته كمعلّم في الكنيسة وقدوة في الجماعة. وهنا لا بدّ لكلّ مسؤول روحيّ في قلب الكنيسة أن يسأل نفسه: هل يستطيع حقاً أن يتحمّل مسؤوليته كمعلّم وراعٍ ومثال لجماعته الكنسية بدون نعمة التكرّس الإلهي التي هي نبع من النعم له وللكنيسة؟ هل يستطيع أن يواجه تشكيك الآخرين فيه وتحديهم له، وتشكيكه في ذاته، إذا لم يكن واثقاً بأن سلطته لا تأتيه من نفسه، ولا من سلطة إدارية ذي طابع بشريّ، بل من الله؟

٣.٣- التكرّس الكلّي

يشير بولس على تلميذه الحبيب ببعض من أهمّ الفضائل التي يجب أن تتحلّى به حياة الرسول وخدمته، قائلاً: "إصْرِفْ هَمَّكَ إِلَى ذَلِكَ وَكُنْ لَهُ مُلَازِماً لِيُظْهَرَ تَقَدُّمُكَ لِجَمِيعِ النَّاسِ" (١٥ آ). هذا يعني بحسب خبرة ولغة الرسول بولس في ميدان الجهاد الرسوليّ أموراً

بالذات لهذه المهمة. هي موهبة نالها بوضع جماعة الشيوخ أيديهم عليه. وهذه حركة ليتورجية معروفة في التقليد البيبلي^(١)، يجتمع فيها أساقفة الكنيسة علناً في قلب الجماعة الكنسية، ويتلون صلوات البركة على المدعوّ بوضع الأيدي، وبنحوه بقوة الروح القدس هذه الموهبة التي هي سلطان الكهنوت المقدّس بالذات.

لذلك على تيموتاوس أن يغلب خوفه أمام هذه المسؤولية العظيمة الموكلة إليه من راعي الكنيسة بولس، ليس باتكاله على إرادته ونفسه ومواهبه الخاصة فقط، بل أولاً وآخرًا على هذه العطية الإلهية التي نالها من الروح القدس. هذه الموهبة الروحية التي هي عطية من الروح القدس تعطيه أهلية وقوة لعيش خدمته الرسولية في الكنيسة من أجل جميع أعضائها (روم ١٢: ١٦؛ ١ كو ١٢: ٤؛ ١ بط ٤: ١٠). إنّ هذه الهبة هي نعمة التكرّس للرسالة التي انتقلت إليه بواسطة بولس ومجلس الشيوخ، لكنها تبقى نعمة إلهية دائمة، لا ترى، لكنها حاضرة أبداً فيه، تعمل وتثمر بقدر ما يتفاعل معها؛ ويمكن أن تُشبه في جوهرها بواهبها، أي الروح القدس الذي يهبّ حيث يشاء (يو ٣: ٨) ولا يرى، ولكننا نرى آثاره (أع ٢: ١٢؛ ٨: ١٧).

(١) وضع اليد ينقل قدرة الله، كما فعل يسوع حين شفى المرضى (مر ٥: ٢٣)، صار هذا الفعل في الكنيسة الأولى طقساً يُعطى به الروح القدس (أع ٨: ١٧؛ ١٩: ٦)، وبوضع اليد رُسِم الشمامسة السبعة (أع ٦: ٦). فمن توضع عليه اليد ينال الموهبة التي لدى واضع اليد.

٣. ٤- السهر والثبات

في ختام هذا المقطع يتوج بولس توصياته للتلميذ والراعي تيموتاوس بالدعوة الملحة إلى الانتباه لنفسه ولتعليمه، وإلى المواظبة على كل ما أوصاه به، ليخلص نفسه ويصير سبب خلاص للآخرين (١٦). هنا يستعمل بولس الفعل العبراني "إباخين" الذي يعني انتبه، فكر، تأمل، توقف على المستوى النظري. وعلى المستوى العملي: اتخذ خياراً، تمسك جيداً بما لديك وبخيارك الأساسي.

فالانتباه لذاته يعني بهذا المعنى أن يتوقف ويأخذ وقتاً كافياً لذاته لبنائها، كما سبق فأشار عليه، ووقتاً كافياً ليفكر ويصلي قبل الإقدام على أي قرار أو خيار أو عمل، فيأتي كل منها ثابتاً وصلباً لا إهمال ولا تراخي فيه. كما ويعني التوقف وأخذ الوقت الكافي لمراجعة تصرفاته لتمحيصها وإصلاح ما اعوجج منها، وتدعيم وتثبيت وتطوير ما صلح بحسب روح المسيح.

أما الانتباه الدائم لتعليمه، فهذا يعني أيضاً التوقف وأخذ الوقت الكافي للقراءة والتأمل في كلمة الله، فلا يهمل كلمة من هذه الكلمات ولا يدعها تسقط. كما ويعني التوقف وإعطاء الوقت الكافي للبحث والتحميص والدراسة وتعميق الفهم والإدراك والنمو في المعرفة اللاهوتية، ليستطيع أن يقدم كلمة الله لجماعته خبزاً طيباً سهل الفهم والاستيعاب والعيش. وهذا ينحيه من الانزلاق في خطر تشويه معاني هذه الكلمة الإلهية والبقاء على مستوى سطحي في إدراك أبعادها

الروحية. وهذا ما يُسمى في حياة المرسل بالثقيف الذاتي الدائم المستنير بتعليم الكنيسة.

والدعوة إلى المواظبة على كل ذلك، ليست سوى دعوة للسهر والثبات في كل ما أوصاه به. سهر وثبات، يعني تعب وجهاد بلا انقطاع ليقوم الرسول بمهمته بأمانة. سهر وثبات، يعني أيضاً عناية فائقة بمسيرة الحياة الشخصية والعقيدة التي يعلمها ويعرضها على أبناء رعيته وإخوته البشر. سهر وثبات طاعة للمسيح الذي أمره بذلك ليكون تلميذاً أميناً له، وأوصاه بذلك بلسان بولس ليتحرر من كل خوف ويتأكد مثل بولس أنه ليس لوحده، بل هو الرب بنفسه معه ويرافقه. سهر وثبات لينمو أمام الجميع في مسيرة تتوافق فيها حياته مع المثال الذي يعظ به، فتقوى سلطته في الجماعة، وتتوطد ثقة أبنائها به. سهر وثبات في حياة روحية منتعشة خدمة رسولية متقدمة لأن بهذا يتعلق أمر خطير جداً: خلاص الرسول نفسه وخلاص الموكلين إليه في جماعته الكنسية: "فإنك إذا فعلت خلصت نفسك والذين يستمعون إليك" (١٦ ب).

خلاصة

هذه التوصيات التي قمنا بدراستها هي جزء من توصيات أخرى تعمر بها هذه الرسالة، قدمها الرسول بولس، الذي أنشأ وبنى كنيسة أفسس بتدبير الرب ونعمته، إلى تلميذه تيموتاوس،

الذي أوكل إليه مهمة رعاية هذه الكنيسة، ليتابع البناء بحكمة، وتكون خدمته بلا عيب، وتحقق له وجماعة أفسس الخلاص الموعود به (١١).

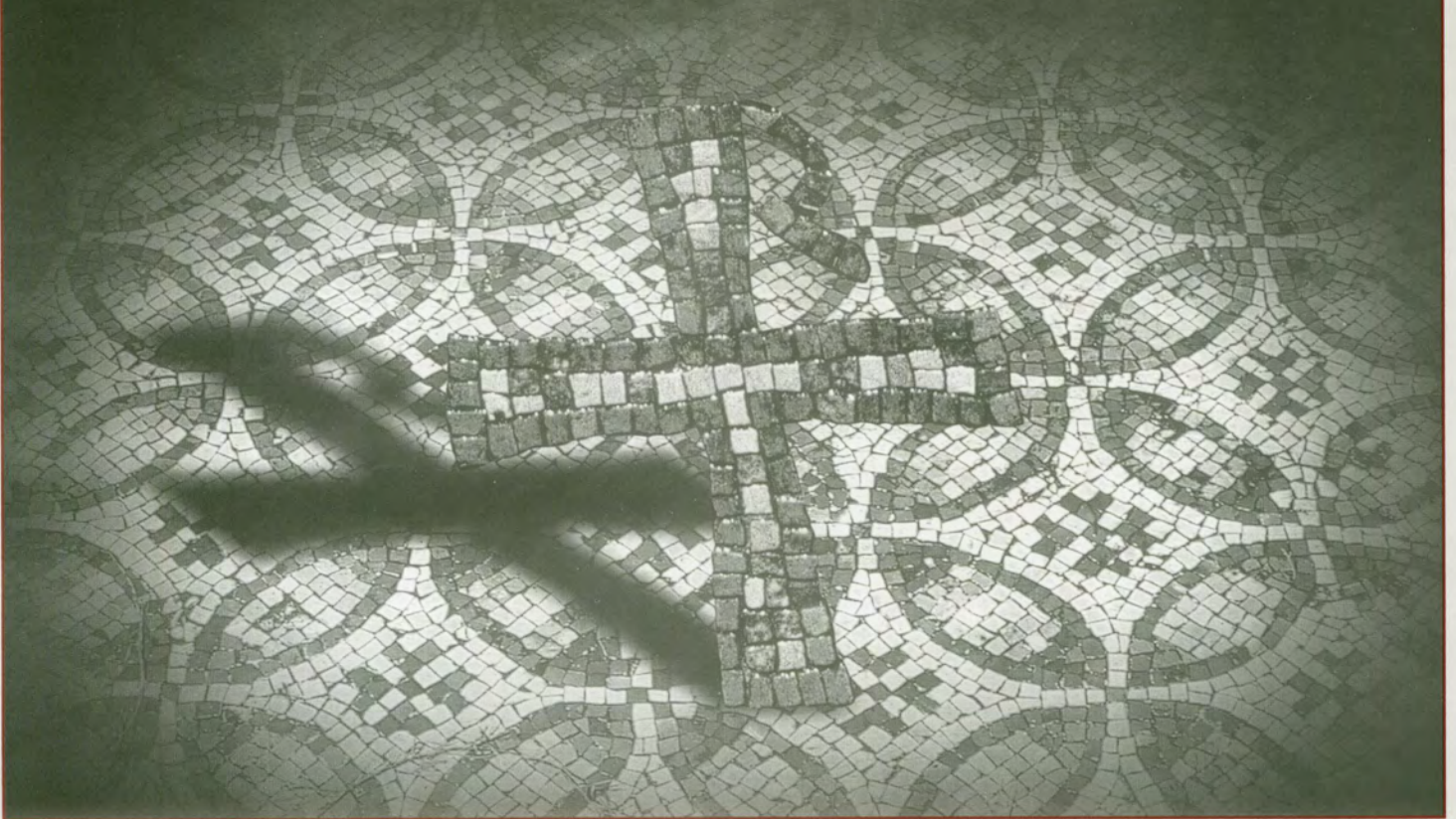
ولأن بولس يعرف جيداً تلميذه تيموتاوس ويدرك عظمة المهمة الموكلة إليه نسبة إلى عمره وخبرته، وإلى ما يحيط بها من أخطار وتحديات، فقد سارع، بالرغم من ثقته بالتلميذ الحبيب، إلى أن يعده بأنه سيجيء إليه عملاً قريب (١٣).

لربما خطر على بال الرسول بولس أن تلميذه الحبيب تيموتاوس لدى قراءته لهذه الرسالة سيشرع، بالرغم من كل التشجيع له وتذكيره بمصادر قوته، بأن ما يطلب منه ليس بالأمر السهل، فسارع إلى التأكيد له أنه سيكون إلى جانبه ومعه عملاً قريب. ولربما خطر على بال الرسول بولس أن هذا التلميذ قد يشعر بأنه وحيد، فيخاف، ويتردد ويضعف، بالرغم من تأكيده له بأنه قادر بالموهبة الروحية التي أعطيت له أن يكون مثلاً بمؤمنيه، ففكر أن يطمئنه بأنه يفكر به ولن يتركه وحيداً، وسيعود ليقف إلى جانبه ويعضده.

في كلتا الحالتين يتجلى الرسول بولس راعياً محباً متنبهاً وغيوراً على تلاميذه الذين أوكل إليهم متابعة البناء في الكنائس التي أسسها. كما ويبدو من خلال توصيته خادماً مختبراً ومحصّناً بنار الحب للرب ولكنيسته، غنياً بالتقوى والمعرفة والخبرة. هكذا تتجلى من خلال هذه الآيات القليلة صورة لراعٍ تذكّرنا بالراعي الصالح، فيستحق منا السماع والطاعة له والاقتداء بسيرته.

انطوان خوري حرب

جذور المسيحية في لبنان





فهرس المحتويات

إهداء	١	القسم الأول: التمهيد للمسيحية في لبنان	٦٠
فهرس المحتويات	٢	١. الفكر الديني في لبنان القديم	٦٤
تقديم غبطة البطريرك الكردينال مار نصرالله بطرس صفير.	٤	أ. أيل، الإله المطلق	٦٨
تقديم غبطة البطريرك الكردينال مار إغناطيوس موسى داوود الأول.	٤	ب. عشتروت، الأم الكلية	٧٠
تقديم سيادة المطران جورج خضر.	٥	ج. البعل أدون - السيد	٧٢
مقدمة المؤلف	٦	د. أفضا، مقر الإله إيل	
	١٠	هـ. أسطورة أدون والطقوس الأدونية	
	١٦	٢. الفكر الفلسفي في العهد الهلنستي	٧٨
	١٩	القسم الثاني: المسيح و لبنان	٧٨
	٢٠	١. الجليل، موطن الجليلي	٨٠
	٢٢	أ. المقومات الطبيعية لأرض الجليل	٨٢
	٢٤	ب. سكان الجليل وبنيتهم الالئية	٨٦
	٢٦	ج. سكان الجليل وبنيتهم الحضارية	٨٦
	٣٠	٢. تجلي المسيح على جبل حرمون	٨٨
	٣٠	أ. حرمون، «الجبل المقدس»	٨٨
	٣٤	ب. حرمون، جبل التجلي	٩٢
	٤٠	٣. قانا الجليل	٩٤
	٤٠	أ. عرس قانا الجليل	
	٤٠	ب. موقع قانا الجليل	
	٤٦	ج. المعالم الأثرية في قانا	
	٥٠	د. مقام «النبى عمران» في القليلة	
	٥٤	٤. المسيح في صور وصيدا وساحلهما	
	٥٤	أ. شفاء ابنة المرأة الكتعائنة	
	٥٦	ب. المسيح في صيدا	
		• مقام «سيدة المنطرة» (معدوشة)	
		• مسرف صيدا (الصرفند)	
		القسم الثالث: إنتشار المسيحية في لبنان	
		١. المسيحية في صور	
		أ. اضطهاد المسيحيين في القرون الثلاث الأولى	
		ب. شهداء من صور	
		ج. أساقفة من صور	
		• المشاركة في الجامع المسكونية الأولى	
		• فرومنتيوس وتنصير الحبشة	
		٢. المسيحية في صيدا	
		أ. صيدا، «بكر كتعان»	
		ب. صيدا، «مدينة أشمون»	
		ج. الطقوس الميترية في صيدا	
		د. إنتشار المسيحية في صيدا	
		هـ. أساقفة من صيدا	
		٣. المسيحية في الجبة ومنطقتها	
		أ. أسقفية الجبة وأثارها البيزنطية	
		ب. مقام النبي يونس	
		ج. شواهد شعيم الأثرية	
		• المعبد القديم	
		• الكنيسة البيزنطية	
		٤. المسيحية في بيروت	
		أ. بيروت «نجمة بلاد لبنان»	
		ب. هل زار السيد المسيح بيروت؟	
		ج. المسيحية في بيروت	
		• أساقفتها ودورهم في الجامع الأولى	
		د. بيروت «أم الشرائع»	
		هـ. بيروت مركز للدراسات اللاهوتية	

١١٢	٥. المسيحية في منطقة كسروان	١٦٦	١١. المسيحية في منطقة عكار
١١٢	أ. صربا وباطليتها	١٦٨	أ. عرق، حاضرة عكار القديمة
	ب. الغينة وكنيستها البيزنطية	١٧٠	ب. إنتشار المسيحية في جبال عكار
	ج. آثار فقرا (كفرذيبان) وكنيستها البيزنطية		• منطقة القبيات
١١٦	٦. المسيحية في جبيل ومنطقتها		• منطقة أكرم، منجز، وادي خالد
١١٦	أ. جبيل مدينة الفينيقيين المقدسة	١٧٨	١٢. المسيحية في البقاع اللبناني
١١٨	ب. المسيحية في جبيل	١٧٨	أ. بعلبك، «مدينة البعل»
١٢٠	ج. من أساقفة جبيل بعد يوحنا مرقس	١٨٠	ب. المسيحية في بعلبك
١٢٢	د. إنتشار المسيحية في أرض أدون وعشتروت	١٨٤	ج. المسيحية في رأس بعلبك
	• البطل القديس مار جرجس	١٨٦	د. المسيحية في منطقة الهرمل
	• الكنائس القديمة	١٨٨	هـ. المسيحية في دير الأحمر
١٢٦	٧. المسيحية في بلاد البترون		• بشوات
١٢٦	أ. البترون، «المدينة الصخرية»		• بشعي
١٢٨	ب. المسيحية في البترون وساحلها		• شليفا
١٣٠	ج. الكنائس القديمة في منطقة البترون الوسطى		• الميونة
١٣٤	د. الكنائس القديمة في منطقة البترون العليا	١٩٢	و. بلدة نبحا وكنيستها
١٤٠	٨. المسيحية في منطقة جبة بشري	١٩٦	ز. المسيحية في منطقة البقاع الأوسط
١٤٢	أ. مار سمعان العمودي وتنصير جبة بشري		• الفرزل
١٤٢	ب. أديار، كنائس ومناسك وادي قنوبين		• حصن نبحا
١٤٨	ج. إهدن، «المدينة الفردوس»	١٩٨	ح. المسيحية في البقاع الجنوبي
	• دير مار أنطونيوس فزحيا		• عنجر
	• مغارة عاصي الحدث		• الدكوة
١٥٢	٩. المسيحية في منطقة الكورة		• المنارة
١٥٤	أ. أنفه، «أنف الحجر»		
١٥٦	ب. أميون		
١٦٠	ج. دير البلمند		
١٦٠	د. مغارة القديسة مارينا (القلمون)		
١٦٢	١٠. المسيحية في طرابلس		
١٦٢	أ. طرابلس، «المدينة المثلة»		
١٦٤	ب. إنتشار المسيحية في طرابلس:		
	• أساقفتها		
	• شهداها		

خلاصة عامة

إعتراف وشكر

مراجع البحث

فهرس الأماكن الجغرافية

فهرس الأعلام البشرية

المجلة الليتورجية

السنة الأولى - العدد (١) - ٢٠٠٨

مجلة فصلية ليتورجية راعوية



رُمن الكنيسة، البشائر، الميلاد، الختان



الحائزة على الميدالية الذهبية من (UCIP) في ٢٠٠٧

نموز - تشرين الأول ٢٠٠٨

العدد ٤٢٧ - ٤٢٨

السنة الرابعة والأربعون

من ينظر إلى العالم من بعيد.
لا يخدم الله.
ومن يسمّر نظره على العالم.
لا يخدمه أيضا.
لكن من ينحني على العالم من خلال الله.
فذاك حاضر في العالم.

الفيلسوف مارتن بوبر (١٨٧٨-١٩٦٥)

